رقيق السلطة فى مصر الطولونية

(254 – 292 هـ / 868 – 905 م)

الدكتور

خالد حسين محمود

مدرس التاريخ الإسلامى

آداب عين شمس

obeikan.com

obeikan.com

رقيق السلطة فى مصر الطولونية

تهدف هذه الدراسة إلى رصد تاريخ فئة اجتماعية مهمشة من شرائح المجتمع المصرى فى العصر الطولونى وهى فئة الرقيق، والتى لعبت دوراً محورياً فى تاريخ تلك الدولة خصوصاً فى المجالين السياسى والعسكرى، وعلى الرغم من هذا الدور- بحيث لا نتجاوز الحقيقة إذا ما اعتبرناهم طرفاً أساسياً لا يمكن بإغفاله فهم تاريخ هذه الدولة فهما كاملاً- لم يخصص حتى الآن – فيما نعلم – دراسة مستقلة ترصد أحوالهم وتتبع تفاعلاتهم مع كافة قطاعات المجتمع.ولا حاجة لكبير عناء لمحاولة التفسير، فان صعوبةً شديدة قد تواجه كل من أراد اعتراك ذلك الحقل المعرفى المتعلق بدولة محدودة الزمان تعرضت مؤلفات كتّابها للتلف العمد وغير العمد، بحيث لم يتعد ما نجى منها أصابع اليد الواحدة[1]، الأمر الذى أحدث فقراً وثائقياً شديداً لا على المستوى الاجتماعى فحسب، بل وكذلك ما يرتبط بالجوانب الاقتصادية والعمرانية، مما يجعل توجيه البحث نحو فئة اجتماعية شديدة التهميش مجازفة مجهولة العواقب ومغامرة محفوفة بالمخاطر.

يعد مسلمة غنية عن كل بيان القول بنظرة دونية طالت الرقيق من قبل فئات المجتمع وعلى كافة مستوياته، نتيجة موقعهم المتواضع ضمن الخريطة الاجتماعية، وارتباطهم فى الأساس بالنشاط الاقتصادي، واندراج غالبيتهم ضمن الخدم المخصص للامتهان

(1)عن مصادر الدولة الطولونية انظر **أحمد عبد اللطيف حنفى: دراسة نقدية لمصادر تاريخ الدولتين الطولونية والإخشيدية**، بحث مرجعى غير منشور مقدم للجنة العلمية الدائمة للترقية لدرجة أستاذ مساعد فى التاريخ الإسلامي، 2004م.

والخدمة، وبعدهم عن المجال الفكرى والثقافى، ناهيك عن صمتهم التاريخى، حيث لم يؤثر عنهم القيام برد فعل جماعى يلفت أنظار المعاصرين إليهم، كما أنهم لم يخلفوا أثراً يمكن من خلاله دراسة أحوالهم الخاصة ورصد تفاعلاتهم مع فئات المجتمع المختلفة، فكانت تلك العوامل كفيلة بجعلهم بعيدين عن اهتمامات المؤرخين والكتاب فجنحوا بهم إلى دائرة الطمس والتهميش ولم يشيروا إليهم فى ثنايا مؤلفاتهم إلا بإشارات ضئيلة وعبارات خجولة لا تتناسب و أدوارهم المذكورة .

وإذا ما كانت المعطيات الآنفة تتعلق بالرقيق عموماً، فإن رقيق السلطة لم يكونوا أسعد حظاً عمن سواهم، فباستثناء ما ورد عنهم بصورة عفوية - أثناء الحديث عن الأمراء الطولونيين ومن دار فى فلكهم من القادة والمتنفذين، فضلاً عن إشارات قليلة تتعرض لحضورهم داخل البلاط وتعاطيهم لبعض المهام السياسية- يظل البحث عن أحوالهم وتتبع أوضاعهم وكشف حياتهم الخاصة وعلاقاتهم بسادتهم ورصد أثرهم الاقتصادى والاجتماعى والفكرى أمراً صعب المنال. بيد أنه يمكن رسم الخطوط الكبرى والمعالم الأساسية لهذه النوعية من الرقيق من خلال لمّ شتات تلك النصوص العرضية المبثوثة فى ثنايا الكتابات التاريخية، فضلاً عن توسيع دائرة البحث عن مادة جديدة داخل المظان غير التقليدية - وعلى اختلاف مشاربها - والتى تتوفر بها مادة تاريخية عنهم ، وهو ما دفع بالبحث نحو اختيار رقيق السلطة حصراً دون غيرهم، حيث يمكن - ومن خلال تلك المادة المتاحة - كشف ذلك الجانب المطموس من تاريخهم وانتشالهم من ركام النسيان الذى رزحوا فيه قروناً عديدة.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن دراسة الموضوع من خلال مقاربتين أساسيتين، تتبنى أولاهما تحليلاً ذا صفة شمولية يخص الرقيق باعتبارهم طرفاً مفعولا به إلى حد كبير، وذلك عبر البحث فى المؤشرات الكبرى التى أسست لحضورهم بجوار السلطة، والتى تتمثل فى دوافع ذلك الحضور ثم مصادر الجلب، وهى تتعلق أساساً بمؤسس الدولة أكثر من خلفائه نتيجة طبيعته المنفردة.أما المقاربة الأخرى فإنها تتبنى تحليلاً أكثر دقة تبحث فى وضعية الرقيق كفاعل أساسي، من خلال تبيان دورهم التاريخى خاصة على المستويين السياسى والعسكرى.

هكذا يفرض البحث عن رقيق السلطة ودورهم فى مصر الطولونية التعرض للحديث عن دوافع حضورهم بجوار السلطة فضلاً عن التساؤل عن مصادر جلبهم.

لا شك أن عوامل عدة ودوافع شتى كانت وراء حضور الرقيق بجوار السلطة الطولونية، منها ما يتعلق بصورة مباشرة بتلك السلطة، ومنها ما يخص الرقيق أنفسهم بشكل غير مباشر إذا ما لم تختزل النظرة إليهم فى حدود أنهم كانوا على طول الخط عنصراً مفعولا به لا فاعلا، أما عن السلطة فإنها سعت إلى استقطاب الرقيق واستجلابهم إليها لأغراض عدة، يأتى فى مقدمتها نظرة الطولونيين إلى الرقيق المجلوب من المواطن البعيدة والمتعدد الأجناس على أنهم عصبية يمكن الاستناد إليها والاعتماد عليها فى شد أزرهم وحماية دولتهم والدفاع عنها من أخطار الأعداء والمنتهزين والطامعين، لا سيما وأن الدولة الطولونية قد حرمت عصبية القبيلة والنسب والدم[1]، فاضطر أمراؤها إلى البحث عن عصبية بديلة من الموالى والعبيد والمصطنعين، والذين يعدون- فى عرف أهل الدراية والخبرة بطبيعة الدول وسنن قيامها- من العصبيات الهامة فى قيام الدول، فمن جانبه ذكر ابن خلدون[2] أن أصحاب الدول إذا فقدوا عصبية القبيلة " **استرقوا العبدان والموالى...[و]ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم فى تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام فى العصبية مساهمة فى نسبها ..سواء كان مولى رق أو مولى اصطناع**".

ولا نعـدم من النصوص ما يثبت صدق الرؤية الخلدونية على موضوع البحث، فقد ذكر ابن الداية[3] -مؤرخ البلاط وأحد المعدودين فى حاشيته- أن مؤسس الدولة

---

(1)انظر بهذا الخصوص حسن أحمد محمود، **حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى**، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت)، ص ص92-93.

(2)**المقدمة**، دار القلم ، بيروت، ط5 1984، ص 135، وسجل الرؤية ذاتها فى موضع آخر حين ذكر أن " **المقصود فى العصبية من المدافعة والمغالبة إنما يتم بالنسب لأجل التناصر ...والمخالطة بالرق أو بالحلف تتنزل منزلة ذلك**" ، المصدر نفسه، ص 184.

(3) **المكافأة**، صححه وضبطه وشرحه احمد أمين وعلى الجارم، القاهرة، ط1 1941، ص ص 131-132، 138، ثم تابع الروايع عند **البلوى**: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على ، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ص ص44-45، ابن سعيد:**المغرب فى حلى المغرب**، تحقيق زكى محمد حسن وآخرين، القسم الخاص بمصر، ج1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003، ص ص 77، 78 والتى نقلها عن ابن الداية.

الطولونية سعى منذ وطئت أقدامه أرض مصر إلى اقتناء الرقيق واعتبارهم العصبية التى يعتمد عليها كل الاعتماد فى تحقيق طموحاته المنشودة، فقد أهداه ابن المدبر- عامل الخراج- هدية من المال تقدر بعشرة آلاف دينار، إلا أنه رفضها رغم شدة احتياجه إليها[1] طمعاً منه فى استبدالها بمائة غلام من المماليك الأشداء الذين رآهم يحيطون بابن المدبر، آملاً أن يكونوا نواة عصبيته المنشودة، وهو ما لفت انتباه ابن المدبر فأمر كاتبه بإنفاذ كتاب إلى بغداد يحذر فيه من خطورة القادم الجديد، إدراكاً منه بأن المماليك المائة ما هم إلا نواة لعصبية يسعى ابن طولون إلى تكوينها والاعتماد عليها للتمكين لنفسه وتحقيق أهدافه، وبالفعل راح الأخير يستكثر من اقتناء الرقيق بصورة حملت عامل البريد أيضاً على إنهاء رسالة إلى مقر الخلافة يحذر فيها من سعى ابن طولون نحو التغلب والعصيان بمصر.

وفى السياق ذاته نضع رواية البلوى[2] التى تؤكد على نظرة ابن طولون إلى هؤلاء الرقيق باعتبارهم عصبيته المنشودة، والتى سعى إلى استرضائها قدر المستطاع، فحين أهدى إليه البعض عدداً من الجوارى الحسان سارع إلى إهدائهن إلى رؤوس عصبيته من وجوه مماليكه، ولما عاتبته أم ولده نعت بقولها: " **يا مولاى آثرت مثل هؤلاء المتعذر مثلهن، غلمانك على نفسك** " أجابها بقوله: "**ويحك ..إنما رغبتى الآن وغرضى أربى فى حراسة دولتى وضبط نعمتى، ومن اضطر إلى من يضافره على أمره سلك هذا المسلك، وآثر هذا الإيثار، وهؤلاء الغلمان هم عدتى وينتسبون إلى انتساب الأبناء إلى الآباء...فأنا أؤثرهم بما يحبون وارتفع أنا عنه**"، وهى إشارة غنية عن كل بيان للتأكيد على إدراك ابن طولون حاجته الماسة إلى الرقيق باعتبارهم العصبية التى تتفانى فى سبيل تدعيم دولته والذب عنها والوقوف ضد أعدائها والمناوئين لها، فضلا عن تصريحه بحميمة العلاقة التى ربطته بهؤلاء الرقيق لا باعتبارهم مماليك له بل باعتبارهم عصبية تقوم مقام عصبية

---

(1)نقل ابن إياس عن ابن وصيف شاه حالة ابن طولون عند دخوله مصر فذكر أنه " **كان ضيق الحال يحتقره من يراه**" ، انظر: **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ج1، ق1، ص161.

(2)المصدر السابق، ص111.

النسب والدم[1] خصوصاً إذا وضعنا فى الحسبان فقده الثقة حتى فى أقرب الناس إليه نسباً، مثل أخيه موسى الذى حاول الثورة عليه بالإسكندرية عام 258هـ/ 871م[2]، وابنه العباس الذى أعلن الثورة والخروج عليه عام265هـ/ 878م[3].بل لا نتردد فى التصريح بأن تلك السياسة التى نهجها الأمير تجاه رقيقه كانت وراء بعض هذه الحركات الانتزائية، وهو ما تفصح عنه رواية ابن الداية[4]التى نقلها عن محمد بن موسى بن طولون الذى فسر أسباب الخلاف الذى دب بين أبيه وعمه مشيراً إلى الغضب الشديد الذى امتلك موسى حين عاين علو حظ الرقيق عند أخيه على حساب أهله، فلم يتردد أن يصرح بذلك حين ماطله فى توليته ولاية الإسكندرية قائلا له:"**ما أظنك تخرج من الدنيا سالما بقطع رحمك وتفضيل غلمانك على أقرب الناس منك**". ولا شك أن إدراك ابن طولون لأهمية عصبيته الممثلة فى الرقيق كان الدافع نحو رغبته الملحة فى الحفاظ على وحدتها، وهو ما صورته وصيته الأخيرة لابنه خمارويه حين عهد إليه بأن يسير على نهجه فى الحفاظ على وحدة عصبيته بحسن معاملة العبيد والمماليك وبذل العطاء الموفور لهم وسد خللهم والتغاضى

---

(1) انظر كيف لفت بعض رجال الفكر السياسى الأذهان إلى طبيعة تلك العلاقة، فقد ذكر ابن خلدون أن الحاكم متى اصطنع عصبيته من العبيد فإن الواحد منهم يصير"**أشد التحاما وأقرب قرابة إليه ويتنزل منه منزلة أبنائه وإخوانه وذوى رحمه**" المصدر السابق، ص 185 ، وصرح آخر بأن " **الخادم الكفء المتمرس خير من الابن**"، ولم يتردد آخر عن القول بأن " **عبدا واحدا مطواع خير من ثلاثمائة ولد لأن هؤلاء ينعون موت الأب والعبد ينشد عزه**" انظر هذه النصوص وغيرها عند **الطوسى: سياسة نامة أو سير الملوك**، تحقيق يوسف بكار، دار الثقافة، قطر، ط2 1407 هـ ص158 .

(2)انظر تفصيلا لذلك عند البلوى:المصدر السابق، ص ص 48-49، ابن سعيد:المصدر السابق، ص ص 81، 82 .

Zaky M.Hassan:Les Tulunides.Etude de l'Egypte Musulmane àla fin du 1xe siècle(868-905,Paris,1933,pp.178-179 .

(3)عن أحداث هذه الحركة انظرابن سعيد:المصدر السابق، ص142، البلوى:المصدر السابق، ص ص 244-268، أبو المحاسن:**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ت)، ج3، ص 40، سيدة الكاشف: **أحمد بن طولون**، سلسلة أعلام العرب رقم (48)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1965، ص ص95-101.

(4)نقلها عنه ابن سعيد:المصدر السابق، ص 82، ثم تابع الرواية ذاتها عند البلوى:المصدر السابق، ص 49.

عن هفواتهم وهناتهم باعتبارهم العصبية التى تعتمد عليها دولته، فى الوقت ذاته الذى وجه فيه النصيحة أيضا إلى هذه العصبية، مخبراً أفرادها أنهم شركاؤه فى صناعة هذه الدولة وسر قوتها وعامل ازدهارها ، ومنبهاً إياهم على ضرورة الولاء لها والخضوع لخليفته والالتفاف حوله، ومحذراً لهم من مغبة التنازع والتناحر فيما بينهم ، فقد أقبل على " وجوه قواده وغلمانه فقال لهم :قد وطأت لكم المهاد بهذه الدولة ...فاطرحوا الأحقاد بينكم وأسقطوا التحاسد واتركوا الاستئثار..لا تخفروا ذمتى واحفظوا صحبتى وتربيتى لأكثركم"[1].

ولا نعدم من الروايات ما يؤكد على التزام خمارويه نهج أبيه وإدراكه لدور الرقيق كعصبية فى الحفاظ على كيان دولته، ونسوق فى هذا الإطار تلك الرواية التى تذكر أنه هام حباً بجارية كانت من أقرب الناس إلى قلبه، إلا أنه لم يتردد فى التصريح لها بأنها أقل أهمية عنده – رغم ذلك الحب- من عصبية دولته قائلا لها: ".. **وأحب إلى منك أسود بعشرة دنانير يقاتل عنى وعنك**"[2]، ورغم اللهجة النفعية التى قد تفوح من النص إلا أنها لا تحجب الحقيقة المؤكدة على إدراك الأمير لدور عبيده الخطير فى كونهم العصبية التى تحفظ على الدولة كيانها وبقائها، واللذان ظلا رهناً بمدى إخلاص تلك العصبية ، وهو ما وفر مثل هذا المناخ العاطفى لمثل هذا الأمير الذى أحاط نفسه بمظاهر البذخ والترف بعد أن كفاه أولئك العبيد مؤونة الأخطار التى تداهم دولته.

ويرتبط بدافع العصبية عامل آخر كان وراء استكثار الطولونيين من الرقيق، وهو إدراك السلطة خطورة الاعتماد على عنصر بعينه فى تكوين هذه العصبية، الأمر الذى تطلب الاستكثار من الرقيق والعمل على تنوع أجناسهم بغية إحداث نوع من التوازن، فالمعروف أن العصبية التركية هى التى كانت تتسلط على الأحوال بمصر عند قدوم ابن طولون[3]، ولما كان الأخير واحدا منهم- فضلا عن إدراكه لطبيعة هذا العنصر الذى لا

(1)البلوى: المصدر السابق، ص339 ، ثم تابع إشارة عن هذه الوصية عند اليعقوبى: تاريخه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج2، ص510.

(2)ابن العديم:بغية الطلب فى تاريخ حلب، دار الفكر، تحقيق سهيل ذكار، 1988، ج7، ص 3385.

(3) المقريزى:كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1، ص177، حسن أحمد محمود : المرجع السابق، ص 16.

يرضى الواحد منهم إلا "**بزعامة جيش أو التوسم بحجابة أو الرياسة على فرقة والأمر والنهى على عصبة**"[1]، ناهيك عن معاينته تسلطهم وتطاولهم على مقدرات الخلافة العباسية واستبدادهم بمصائرها وانفرادهم بتدبير شئونها - فإنه لم يدخر وسعاً فى تجنب تلك العصبية والعدول عنها إلى عصبية أخرى من الرقيق المجلوبين من المواطن البعيدة ممن لا ينتمون بالولاء والطاعة إلا لسادتهم، وهو ما عبر عنه ابن خلدون[2] حين أفرد فصلا عن استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبيته بالموالى والمصطنعين، أثبت فيه أن مؤسس الدولة يحتاج فى مدافعة تلك العصبية وحماية ملكه منهم وصدهم عن المشاركة فى مؤسساته السياسية والعسكرية إلى " **أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم وأخص به قرباناً واصطناعاً وأولى إيثاراً وجاهاً، لما أنهم يستميتون دونه فى مدافعته قومه عن الأمر... فيستخلصهم صاحب الدولة ويخصهم بمزيد التكرمة والإيثار...ويقلدهم جليل الأعمال والولايات.. وما يختص به لنفسه**"، فإذا ما أدرك الحاكم تلك الحقيقة لم يدخر وسعاً فى الاستكثار من الموالى والرقيق بغية " **جدع أنوف أهل عصبيته**".

هكذا نجد أن مؤسس الدولة قد وعى الدرس جيدا حين أدرك منذ البداية خطورة الاعتماد على عصبية بنى جلدته من الأتراك فراح يضربها بعصبيات جديدة ، وهو ما تؤكده شواهد عدة، فمن جانبه أكد ابن الداية[3] أن ابن طولون تجنب الاستعانة بالأتراك لتحقيق استقلاله المنشود لأنه كان يزدريهم و يستصغر عقولهم وآدابهم ويرى أنهم قد "**تسنموا مالا يستحقونه وأن حرمة الدين بهم مهتوكة وفرائضه معطلة**"، ولا يخفى ما يحمله النص من رغبة كاتبه فى اعتماد مسوغ دينى ومسوح أخلاقى كمبرر لعدم الاستعانة بهذا الجنس، إشارة إلى ما درجوا عليه من نهب وابتزاز للعامة واستهانة برموز الخلافة. ومن المنظور ذاته نضع الرواية التاريخية التى أوردها البلوى[4] والتى تكشف عن

---

(1) **العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 20، نقلا عن كتاب تفضيل الأتراك على سائر الأجناد، لابن حسول(ت450 هـ).

(2) المصدر السابق، ص183.

(3) نقلاً عن ابن سعيد: المصدر السابق، ص74 ، ثم تابع نصاً شبيها عند **ابن خلدون : تاريخه المعروف** بالعبر، دار القلم بيروت، ط5 1984، ج 4، ص386.

(4) المصدر السابق ، ص284.

تدارك ابن طولون لخطورة الخطوة التى أقدم عليها وهى استدعاء الخليفة المعتمد إلى مصر، حيث إنه تراجع عنها حين نبهه أحد دهاة السياسة من أعوانه إلى احتمالية فتح المجال أمام أعوان الخليفة من الأتراك إلى منازعة الأمير فى أمور البلاد رغم ما لهذه الخطوة من أهمية فى تدعيم مركزه فى صراعه ضد الموفق[1]. ومما زاد من رغبة ابن طولون فى تجنب الاعتماد على عصبية الأتراك ما تناقلته أجهزته وجواسيسه من أخبار عن الحقد الدفين الذى امتلأت به قلوب بنى جلدته من الأتراك تجاه انفراده دونهم بأمر البلاد، حتى إن أحدهم لم يخف رغبته فى اغتياله والتخلص منه[2]، ناهيك عن تهافت بعضهم على التآمر عليه من خلال مراسلات سرية مع عدوه اللدود الموفق[3].

تقودنا المعطيات السابقة إلى نتيجة حتمية مفادها انتباه ابن طولون إلى ضرورة البحث عن عصبية جديدة من الرقيق يستظهر بهم على بنى جلدته من الأتراك الذين فقد الثقة فيهم، فتجلت رغبته فى الاستكثار من الرقيق المجلوب والحرص على تنوع أجناسهم واتخاذهم عصبية له، وهو ما أكدته روايات المصادر كما سيتضح لاحقا.

ويندرج فى السياق ذاته عامل شبيه ساعد على حضور الرقيق بجوار السلطة الطولونية يتمثل فى رغبة تلك السلطة فى استغلال الطاقة الحربية للعبيد والمماليك المجلوبين من المواطن التى تمرسوا فيها بأمور القتال[4]، لا سيما الروم والسودان والبربر والديلم، والذين وصفهم أهل الدراية بأنهم خير من ينتفع بهم فى المؤسسات العسكرية[5]

---

(1). *Zaky M.Hassan:op.cit,p.82*

(2)ابن سعيد: المصدر السابق، ص 113.

(3) البلوى:المصدر السابق، ص153، ابن سعيد: المصدر السابق ، ص 111.

(4)يؤكد واحد من أهل الخبرة والدراية بأمور السياسة على ضرورة الاعتماد فى الجيش على الأرقاء لأنهم أكثر تفانيا من غيرهم فى خدمة السلطة وصنع أمجادها والذب عن حياضها قائلا: "الخول الخول ..فإن الله تعالى قد حمى [بهم] الحوزة وجعلهم نكالا للبغى وبلاء للعدو وظهيرا وعمادا للعز". انظر ابن الأزرق:بدائع السلك فى طبائع الملك، تحقيق سامى النشار، وزارة الإعلام، العراق، 1978، ج1، ص196.

(5)أبو حامد الغرناطى:تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربى، دار الآفاق، المغرب، 1993، ص 40.

وذلك لقوة بنيانهم[1] وشوكتهم[2] وبطشهم[3] وشدة بأسهم[4] وبسالتهم[5] وسرعة حركتهم[6] ودرايتهم المتناهية بشئون الحرب والقتال[7]، ولما كانت الدولة الطولونية دولة حرب ومغازٍ فقد كان بديهياً أن يستكثر أمراؤها من هذه الأصناف حتى وصفت دولتهم بأنها " دكاكين العبيد"[8]، وأن أمراءها "عبيدهم عدد الشوك والشجر"[9] و عرف مؤسسها بأنه"صاحب جيوش وجنود كثير"[10]، قدرت فى بعض الروايات بمائة ألف[11] من السودان[12] والروم[13] والنوبة[14] والديلم[15] والأتراك[16] والبربر[17] والفراغنة[18].

---

(1) الجاحظ: الرسائل، قدم لها وشرحها على أبو ملحم، دار مكتبة الهلال ، بيروت، 1987 ج1، ص 538.

(2)مؤلف مجهول:التحقيق فى شراء الرقيق، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم15/ اجتماع، ورقة 335.

(3)البكرى:المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، وزارة الثقافة، تونس، 1992، ج1، ص 326.

(4)الدمشقى:نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ط بطربونخ، 1865، 261

(5)مؤلف مجهول: المصدر السابق، ورقة 38.

(6)الزهرى:كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ب.ت)، ص 125.

(7)الإدريسى:نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص86.

(8)الصولى: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ط مصر 1963، ص234.

(9)جاء الوصف على لسان شاعر العصر ابن أبى هاشم، انظر المقريزى:المصدر السابق، ج2، ص 140.

(10) العصامى المكى :سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، المطبعة السلفية، القاهرة، (د .ت)، ج3، ص 478.

(11) البلوى:المصدر السابق، ص95، ابن سعيد:المصدر السابق، ص ص91، 127، المقريزى:المصدر السابق، ج2، ص131 ، *Zaky M.Hassan:op.cit,p167* .

(12) الكندى:ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص241، ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمرى، دار الفكر، بيروت، 1995، ج49، ص 344 ، مؤلف مجهول : نزهة الأبصار فى ذكر الأقاليم وملوك الأمصار، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 150 بلدان تيمور عربى، ميكروفيلم30106، ورقة176، ابن خلدون:العبر، ج4، ص، 396، ابن اياس:المصدر السابق، ج1، ص161.

(13) البلوى:المصدر السابق ص 51، ابن سعيد: المصدرالسابق، ص80.

(14) البلوى:نفسه.

(15) ابن إياس :المصدر السابق ج1، ص162.

(16) القلقشندى: مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ط2 1985 ص ج1، ص 247، المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص 177.

(17) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ج5، ص580، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص146.

(18) الطبرى: المصدر السابق، ج5، ص 580.

كذلك جاء حضور الرقيق بجانب السلطة الطولونية تعبيراً عن حالة الترف والدعة، ولا غرو فقد ترسخت فى أذهان الصفوة من أهل تلك الفترة أن من مظاهر الزينة والتصنع " **كثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظماء**"[1]، وأن من عوائد الترف"**التأنق فى المساكن والملابس.. واتخاذ الخدم**"[2]، وان إحاطة المرء نفسه بـ" **العبيد عنوان النعم ولسان المجد والرياسة**"[3]. وهكذا اكتظت قصور الأمراء الطولونيين ودور كبار رجال دولتهم بأعداد وفيرة من الرقيق على اختلاف أجناسهم وأنواعهم ، فقد اشتمل بلاط ابن طولون على أعداد غفيرة من الجوارى والخدم والغلمان قدرت بأربعة آلاف[4]، أما ابنه خمارويه فقد ضم قصره سبعة آلاف من رقيق البلاط [5] تمشياً مع حياة الدعة والترف التى عاش فيها.

تَشبّه كبار رجال الحاشية بالأمراء الطولونيين فى اقتناء الرقيق، فقد امتلك ابن المدبر عامل الخراج عددا وفيرا من الرقيق انتخب منهم مائة غلام من مماليك الغور" **وصيرهم عدة وجمال كانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه إذا جلس فإذا ركب ركبوا بين يديه فصير له بهم هيبة عظيمة فى صدور الناس**"[6]. وفى وصفه للحسن بن مخلد وزير ابن طولون استدل الذهبى[7] على عظيم هيبته وتبجيله بأنه كان كثير الخدم والغلمان، اختص بعضهم بالإحاطة به عند خروجه للصلاة. وهو ما ينسحب على محمد بن على الماذرائى وزير خمارويه الذى عرف بعظيم ماله وجاهه ومجده حتى إنه امتلك آلاف الجوارى والغلمان ممن دخل كثير منهم فى عداد هداياه وأُعطياته وصدقاته[8]. ولم يخرج كبار القادة

---

(1)ابن عربى :كتاب الأخلاق" ملحق بكتاب مختصر خليل لخليل بن اسحق" مصر 1325هـ ص 29.

(2)ابن الأزرق:المصدر السابق، ج1، ص 220، ابن خلدون: المقدمة، ص 360.

(3)مجهول: شراء الرقيق، ورقة 3.

(4)ابن خلدون: العبر، ج4، ص396.

(5)ابن كثير:البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج11، ص47.

(6)المقريزى : المصدر السابق، ج2، ص121.

(7) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9 1413هـ، ج13، ص 8.

(8)الخطيب البغدادى:تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت)، ج3، ص81، ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1992، ج6، ص ص 383، 384، ابن عساكر: المصدر السابق ج14، ص15، ج41، ص 240، الذهبى: العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2 الكويت، 1984، ج1، ص 140، ثم تابع إشارات أخرى عن رقيق هذا الوزير عند ابن سعيد: المصدر السابق، ص ص151، 162 ، 351 ، التنوخى: المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد على ، القاهرة 1946، ص 135.

والقضاة والكتّاب عن ذات القاعدة إذ تفننوا فى بناء القصور وشحنها بالخدم والعبيد، نموذج ذلك القائد طغج بن جف الإخشيدى الذى ترقت به الحال فصار من أكبر قواد ابن طولون وخليفته خمارويه وبلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك[1]، وورث القائد هارون بن ملول عن أبيه أموالاً جمة أنفق كثيرا منها فى شراء الخدم والغلمان[2]، واشتهر لؤلؤ غلام ابن طولون بكثرة غلمانه وجواريه[3]، ويبدو أن كثرة هؤلاء الرقيق كانت وراء وصف بعض المصادر له بأنه كان من أكثر الناس " مالا وعزا" [4]، وهم الذين صادرهم ابن طولون وباعهم فى أسواق النخاسة حين خرج عليه[5]، وهو ما نجد له نظيراً عند ابن المفضل وكيل ابن طولون الذى امتلك أعدادا وفيرة من الرقيق كانوا ضمن أملاكه التى صودرت حين وجد عليه الأمير[6]. ووصف رجل من كبار قواد ابن طولون سمى بالفيل بوفرة رقيقه[7]. واشتهر ابن زنبور الماذرائى - كاتب خمارويه- بهداياه الكثيرة والتى كانت تشتمل على الرقيق[8]. وكان للجصاص – المشرف على زينة أمهات أولاد ابن طولون وخمارويه- ثروة كبيرة من الجوهر والعبيد قدرت بآلاف الدنانير[9]. ولا تعوزنا النصوص الدالة على امتلاك القضاة للرقيق نتيجة تحالفهم مع الأمراء الطولونيين وبحكم ما تكدس عندهم من ثروات جراء ذلك، ويكفى أن ندلل على ذلك بما ورد من إشارات عن القاضى محمد بن عبدة -الذى تولى القضاء فى عهد خمارويه - وزاد راتبه الشهرى عن ثلاثة آلاف دينار مكنته من اقتناء مئات المماليك كانوا عنوانا لوصفه فى مصادر الفترة بالتجبر وكثرة

(1)الذهبى : السير، ج15، ص 366.

(2) ابن الداية : المصدر السابق، ص 35.

(3)الطبرى: المصدر السابق، ج 5، ص 580 ، ابن الأثير:الكامل فى التاريخ، تحقيق عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج 6، ص349، النويرى:نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين و محمد حلمى محمد ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، 1992، ج28، ص19.

(4)ابن كثير:المصدر السابق، ج11، ص 72.

(5) النويرى:المصدر السابق، ج28، ص 18.

(6)البلوى: المصدر السابق، ص218.

(7)الاتليدى:نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس، تحقيق أيمن عبد الجابر، دار الآفاق العربية، 1998، ص424.

(8)ابن عساكر: المصدر السابق، ج14، ص15.

(9) الذهبى :السير، ج14، ص ص 469-473، ابن الجوزى: المصدر السابق، ج6، ص ص 70، 127، 211، 214، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص443.

التملك[1]. وهو ما نجد له نظيرًا فى ترجمة القاضى أبى زرعة الذى زوج ابنه الحسين ببنت أبى زنبور الماذرائى وكلف مائتى غلام من غلمانه بخدمة مدعويه[2].

ويخيل إلينا أن عاملا آخر قد دفع السلطة الطولونية إلى جلب الرقيق والاستكثار منهم ، ونعنى بذلك دخول الرقيق ضمن الهدايا التى كان يبعث بها أفراد السلطة إلى حاضرة الخلافة، إذ دأب الحكام والقادة ائنذ على إرسال الهدايا إلى الخليفة أو الوزير حتى صار انقطاع ذلك النوع من الهدايا علامة من علامات الاستقلال والانتزاء[3]، ولا أدل على ذلك من الرواية التى تذكر أن الموفق أرسل خادمه نحرير إلى احمد بن طولون يستحثه على الإسراع فى إرسال " **ما جرى الرسم بحمله مع المال فى كل سنة من الطراز والرقيق والخيل**"[4] فسارع الأخير إلى إرسال ما هو مقرر عليه حيث انتدب رسولا حمله "**مائتى ألف دينار ورقيقا وخيلا وطرازا وجميع ما جرى الرسم به**" [5]. ويبدو أن هذا النوع من الهدايا كان ينسحب أيضا ليشمل أفرادًا آخرين داخل حاشية الخلافة ممن سعى ابن طولون إلى استمالتهم فى صراعه الطويل ضد الموفق ضمانًا لتثبيته على حكم البلاد وإمعانًا فى تحقيق احلامه المنشودة[6]. وفى السياق ذاته نضع الهدايا التى اعتاد خمارويه إرسالها إلى حاضرة الخلافة والتى كانت تشتمل أيضا على الرقيق [7].

---

(1)الذهبى: السير، ج14، ص 408، ابن حجر:لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند، بيروت ، ج5، ص 272.

(2)ابن حجر:رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1998 ، ص 390.

(3) *Zaky M.Hassan:op.cit,p.46* ، ويمكن التنويه هنا إلى كيفية إعلان الوالى عبد الرحمن بن حبيب تمرده على الخلافة العباسية من خلال حرمانها من الرقيق الذى اعتاد أسلافه إرسالهم إلى المشرق. تابع الرقيق القيروانى : قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلى وعز الدين موسى. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ص 92، ابن عذارى:البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.سكولان وليفى بروفنسال، دار الثقافة ، بيروت، 1983، ج1، ص 67.

(4) البلوى :المصدر السابق، ص 80، ابن الزبير:الزخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله، الكويت، 1959، ص37، ابن خلدون: العبر، ج4، ص388.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 87.

(6) البلوى:المصدر السابق، ص ص57-58، ***Zaky M.Hassan:op.cit,pp.203***

(7) الطبرى:المصدر السابق، ج5، ص 605، ابن الزبير:المصدر السابق، ص ص 41، 44 ، الحلى: المناقب الزيدية فى أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات ، مركز زايد للتراث، (دت)، ص354.

تلك إذًا أهم الدوافع التى أدت إلى حضور الرقيق إلى جانب السلطة الطولونية، إلا أن الرؤية تظل مبتورة إن لم تكتمل بتسجيل ملاحظة هامة، مفادها أن هذا الحضور لم يكن استجابة لدوافع أملتها حاجة السلطة فقط، وإنما ارتبط أيضا بطموح حرك الرقيق أنفسهم نحو الإحاطة بالسلطة عبر امتلاك بعض المهارات السياسية والعسكرية والثقافية التى تؤهل بعضًا من رقيق الأوساط الشعبية إلى التطلع نحو الحضور ضمن رقيق السلطة للتخلص من النظرة الدونية التى طالتهم ، فضلا عن التمتع بالمزايا التى يحصل عليها هذا النوع من الرقيق، وهو ما عبر عنه ابن خلدون[1] حين تحدث عن تطلع الرقيق إلى الانتظام ضمن رقيق السلطة بغية **"حصول رتبة أو إفادة مال أو عز...فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة"**. ولا نعدم من النصوص التى تخص موضوع البحث ما يبرهن على صدق تلك الرؤية المجردة، فقد ورد عند ابن الداية[2] رواية تتحدث عن مجموعة من غلمان الثائر أبى عبد الرحمن العمرى ممن راودهم الأمل فى أن يصبحوا رقيقا للسلطة فقاموا بقتل سيدهم وحملوا رأسه إلى ابن طولون رجاء الزلفى منه والاندراج فى صفوف رقيقه، وهو ما تجلى فى إجابتهم عن السؤال الذى وجهه إليهم عن دافع إقدامهم على تلك الخطوة، حيث قالوا له" **طلبنا الحظوة عندك والمكانة منك"**، ولا ريب فى أن المكانة المقصودة هى الحضور ضمن رقيق الدولة، وهو ما أكده الأمير ذاته حين رفض طلبهم أمر بعقابهم قائلا: **"قتلتم مولاكم المحسن اليكم بالتطرف إلى المزيد"**.ومن المنظور ذاته يمكن الإشارة إلى الرواية التى أوردها القرطى[3] عن كافور الأسود الذى راوده ذلك الطموح منذ اللحظات الأولى التى وطئت فيها أقدامه ارض مصر مجلوبا من بلاد السودان، حيث صرح لرفيق له أسود وهما يباعان صغارا بسوق العبيد قائلا: **"أنا أتمنى أن أملك هذه المدينة"**، وهو مالا يمكن تحقيقه إلا باللحاق برقيق السلطة عبر اكتساب مهارات خاصة، وهو ما أكد عليه مولاه محمد الإخشيد الذى كان **"يعرف فيه النجابة ويتفرس فيه الهمة العلية"**.

---

(1)المقدمة ، ص 148.

(2)المكافأة، ص 117.

(3)نقلا عن ابن سعيد: المصدر السابق، ص 199.

وبعد الفراغ من الحديث عن دوافع حضور الرقيق بجانب السلطة الطولونية يحق التساؤل عن كيفية الحصول على هؤلاء الرقيق .

استناداً إلى النصوص المتاحة يمكن القول بأن مصادر جلبهم قد تعددت لتشمل الحروب والتجارة والهدايا فضلا عن مصادر أخرى ثانوية.

لا غرو أن يتمكن الطولونيون من الحصول على الرقيق من خلال تلك المواجهات العسكرية التى خاضوا غمارها عبر الثغور الجهادية لا سيما تلك التخوم الشمالية المطلة على البحر المتوسط ميدان الجهاد ضد الدولة البيزنطية[1]. فمن المعروف ابتداءً أن الدولة الطولونية قد تعددت ثغراتها الجهادية بشكل يمكن معه اعتبارها دولة حرب ومغازى[2]، وهو ما تؤكد على صحته تلك الرواية التى تذكر أن الخليفة العباسى المعتمد قد عهد إلى ابن طولون بأمر " **الثغور فوليها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد**"[3]. وعن سبب إلحاحه فى رغبته فى تولى حكم الإسكندرية ذكر موسى بن طولون لأخيه أنه طلب"**هذا البلد لأنه ثغر من الثغور**"[4]. ورغم افتقارنا إلى معطيات رقمية محددة تظهر نصيب تلك المواجهات من الأسرى والسبايا الذين تعرضوا للاسترقاق، إلا أنه يمكن القول بأن تلك المواجهات كانت مرتعاً خصباً للتزود بالرقيق[5]، فنتيجة لعدم تقاعس الطولونيين عن حماية الأراضى التى آلت إليهم، راحوا يجندون حملات عدة لحفظ التخوم الثغرية كانت كفيلة بانتعاش عمليات السبى، فمع بداية الدولة تحدث ابن الداية[6]عن حملة جردها ابن طولون لشن هجوم على التخوم البيزنطية بقيادة رجل يدعى ابن فروخ عاد منها وقد غنم سبياً كثيراً، وتمكن القائد لؤلؤ غلام ابن طولون من إنزال هزيمة ساحقة بقوات الدولة البيزنطية عام 266هـ/ 879م أسفرت عن استرقاق أعداد غفيرة من

---

(1)انظر بهذا الخصوص ليلى عبد الجواد : **علاقة دولة الروم بمصر عصرى الطولونيين والإخشيديين**، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى، 1988.

(2). ***Zaky M.Hassan:op.cit,p.158***

(3)**ابن خلدون** : العبر، ج3، ص 422.

(4)**البلوى**: المصدر السابق، ص 47.

(5) **انظر ساويرس بن المقفع:تاريخ البطاركة**، تلخيص وتنسيق وتعليق ميخائيل إسكندر، سلسلة التراث القبطى القديم، مكتبة المحبة، القاهرة ، (د.ت) ، ص114.

(6)المصدر السابق، ص 78.

الأسرى والسبايا الذين تم إرسالهم إلى مصر[1] ، وفى عام 268/ 881م عاد خلف الفرغانى نائب أحمد بن طولون بالشام من حملته على بلاد الروم محملا بالغنائم والسبايا[2] وفى عام273 هـ/ 886م شن يازمان عامل ابن طولون على طرسوس حملة على أراضى البيزنطيين فاسر وسبى[3] ، وفى العام التالى لتلك الحملة غزا القائد ذاته بعضاً من التخوم البيزنطية فقتل وسبى[4] وأسر وغنم[5] ، ثم تواصلت بعد ذلك هجمات يازمان على أراضى البيزنطيين عام275هـ/ 888م وأخذ عدة مراكب من الروم[6] ، وفى عام 281هـ/ 894م غزا خمارويه وبصحبته قائده بدر الحمامى أرض الدولة البيزنطية فغنم ورجع محملا بالأسلاب[7] وفى ولاية ابنه هارون غزا عامله على طرسوس مدينة إنطاكية فقتل من الروم خمسة آلاف وسبى أضعافهم[8] .

ويرتبط برافد الحرب مصدر آخر ممثل فى حصول السلطة الطولونية على أعداد من الرقيق المجلوب من بلاد النوبة من جراء معاهدة البقط[9] التى أبرمها عبدالله بن سعد بن

---

(1)ابن كثير: المصدر السابق ، ج11، ص 39.
(2)أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3 ، ص44.
(3)ابن خلدون : العبر، ج3، ص422.
(4) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص71.
(5)الطبرى:المصدر السابق، ج5، ص595.
(6)أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص72.
(7)ابن خلدون : العبر، ج4، 399.
(8) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص132.
(9) عن مفهوم لفظ البقط وتطوره كضريبة حتى عصر المماليك انظر قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج ، مكتبة المثنى، بغداد، (د . ت)، ص 295، ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربى، 1961، ص254، الكندى :المصدر السابق، ص 36، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، (د . ت) ، ص83 المقريزي:المصدر السابق، ج1، ص2، القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، تحقيق يوسف على الطويل، دار الفكر، دمشق، 1987، ج5، ص268، توفيق بن عامر: الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس ، جـ1، ص ص 67، 68، ثم تابع :
Fisher (Allan G. and Humphrey J.): *Slavery and Muslim Society in Africa: The institution in Saharan and Sudanic Africa, and the trans-Saharan trade. London, 1970,p.149* ***Pipes (D):*** *Slave Soldiers and Islam: The Genesis of a military system, New Haven, 1981,p.134,,* ***Brunschvig (R):*** *"Abd", in Encyclopedia of Islam, Leiden, v.1, 1960, p.33.* ***Savage (E):*** *"Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992, pp351-368.*

أبى سرح مع النوبة عام 31هـ/ 651م، والتزم فيها أهل النوبة بتزويد السلطة السياسية فى مصر بثلاثمائة وستين رأساً من الرقيق كجزية سنوية فى صورة أداء بشرى، حيث ظل العمل بشروط تلك المعاهدة خلال فترة البحث[1]، وفى الإطار ذاته تأتى رواية أبى المحاسن[2] التى تذكر أن أهل الصعيد كانوا يدفعون لحاكم مصر كل سنة خمسمائة نفر من العبيد والجوارى، وهو ما يثير نوعاً من الحيرة بين القول باختلاف تلك الضريبة عن ضريبة أهل النوبة، أو التسليم بأن الرواية قد استبدلت بلاد النوبة بلفظة "أهل الصعيد"، إذ يبدو أن المواصفات التى تمتع بها رقيق النوبة من جمال الجوارى وشدة وبأس العبيد قد أخذت بألباب السلطات الحاكمة قبيل العصر الطولونى وجعلتهم يعمدون إلى الزيادة فى أعداد الرقيق المقررة، فقد اشترطت المعاهدة على أهل النوبة أن ينتقوا من رقيقهم افضل العناصر وأجملها ذكوراً وإناثا بحيث لا يكون فيهم شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم[3].وبالمثل، فرضت السلطة الحاكمة فى مصر على أهل البجة ضريبة بشرية فى كل عام مقدارها ثلاثمائة من الجوارى الأبكار الجميلات[4].

ويبدو أن السلطة لم تقنع بتلك الأعداد من الرقيق التى وفرتها المعاهدات المذكورة، فلم تدخر وسعاً فى انتهاز الفرص للتزود بهذا الصنف المجلوب من جنوب البلاد، فقد ذكر البلوى[5] أن احد نواب ابن طولون فى الصعيد شن حملة عسكرية لتأديب أهل النوبة " وسبى منهم سبيا كثيرا حتى إنه كان الرجل من أصحابه يشترى الحاجة من البياع أو من البقال بنوبى أو بنوبية لكثرتهم " .

---

(1)فقد ذكر البكرى أن المعاهدة كانت جارية حتى عصره فكان " لأمير مصر عدد ولعامله بأسوان عدد وللحاكم بها عدد " المصدر السابق، ج1، ص324، ثم تابع رواية شبيهة عند المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص372، وفى السياق ذاته يقول القلقشندى: "لم تزل ملوك مصر تأخذ منهم هذه الإتاوة ...مقرر لصاحب مصر فى كل سنة من العبيد والإماء " ، صبح الأعشى، ج5، ص 268.

(2)المصدر السابق، ج 2، ص295.

(3) ابن الفقيه:مختصر كتاب البلدان، نشره دى غويه، ط ليدن، 1886، ص 77، المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص200.

(4)المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص361.

(5)المصدر السابق، ص65، وعن سجالية الحرب بين حكام الصعيد وبلاد النوبة تابع :أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص326.

وفضلا عن الحرب، مثلت التجارة وأسواق النخاسة مصدراً آخر من مصادر تزويد السلطة الطولونية بالرقيق، فقد شكلت مصر خلال تلك الفترة حلقة هامة من حلقات تجارة الرقيق على اختلاف أجناسه، من النوبة والحبشة وبلاد البجة وبلاد المغرب والأندلس وصقلية، وهكذا تتحدث المصادر عن أسواق كبيرة للرقيق بمصر خلال العصر الطولونى كان من أهمها تلك السوق التى أمر ابن طولون ببيع أهل قائده لؤلؤ فيها[1].

اعتاد التجار الدخول إلى بلاد النوبة وما حولها من البلاد محملين بالخزر والأمشاط والمرجان لاستبدالها بالرقيق[2]، حيث كانت تتم عملية التجارة عن طريق المقايضة، إذ نقل المقريزى[3] رواية متقدمة للأسوانى صاحب كتاب أخبار النوبة تذكر أن أهل هذه البلاد " **لا بيع بينهم ولا شراء وإنما هى معاوضة بالرقيق والمواشى والحبال...**". كما وصلت قوافل التجار إلى بلاد البجة والحبشة، فقد ظل تجار مصر من أنشط التجار فى جلب الرقيق من هذه البلاد حسب شهادة الاصطخرى[4] الذى يقول إن: "**رقيقهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع إلى مصر**"، وهى العبارة ذاتها التى أدرجها ابن حوقل[5] ضمن مؤلفه معقبا عليها بقوله: "**ورقيقهم...يقع إلى مصر فى جملة التجار المصريين**"، كما دخل تجار مصر إلى بلاد الحبشة لجلب العبيد والخدم[6].

واحتل الرقيق مكانة هامة فى صادرات الأندلس والمغرب وصقلية إلى مصر خلال تلك الفترة، فقد ذكر ابن الفقيه[7] انه كان يجلب من الأندلس " **الخدم الصقالبة والغلمان الرومية والإفرنجية والجوارى الاندلسيات**". أما عن بلاد المغرب فقد ذكر ابن حوقل[8]

---

(1) البلوى: المصدر السابق، ص305، النويرى: المصدر السابق، ج28، ص18.
(2) ناصر خسرو: سفرنامة، تحقيق يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط3 1983، ص 81.
(3) المصدر السابق ، ج1، ص 353.
(4) المسالك والممالك، ط ليدن، 1927، ص54.
(5) صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص151 .
(6) البكرى : المصدر السابق، ج2، ص327 ، الادريسى: المصدر السابق، ج1، ص53.
(7) المصدر السابق، ص84، ثم تابع ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص92.
(8) المصدر السابق، ص ص 105-106.

أن أهم صادراتها إلى مصر "**المولدات الحسان الروقة..والغلمان الروقة الروم..والخدم المجلوبون من بلاد السودان والخدم المجلوبون من ارض الصقالبة**"، فى حين ذهب الاصطخرى[1] إلى أن الرقيق شكلوا سلعة هامة من صادرات صقلية إلى مصر وبلاد المشرق. ويعطى ابن خرداذبة[2] صورة واضحة عن دور التجار اليهود فى توريد الرقيق إلى مصر عن طريق خليج السويس، حيث كانوا يجوبون العالم شرقاً وغرباً لجلب سلع خاصة كان من أهمها" **فرنجة الخدم والغلمان والجوارى**".

هكذا وفرت تجارة الرقيق وأسواق النخاسة أعداداً غفيرة من الرقيق الذين تسربوا إلى السلطة عن طريق عملية الشراء، فنتيجة لطبعته الاستقلالية ورغبة فى تحقيق طموحاته لم يدخر ابن طولون وسعاً فى إنفاق كثير من أموال دولته فى شراء الرقيق، فمن بداية الأمر اشترى عبيدًا من السودان بعشرة آلاف دينار أهداها إليه أحد أعيان البلاد[3]، ثم إنه انتهز فرصة إطلاق الخليفة العباسى المعتمد يده فى أموال الخراج فـ "**ابتاع من الحمران والسودان خلقا كثيرا**"[4]، ويبدو أن وفرة موارد الدولة قد أتاحت له الاستكثار من شراء الرقيق، فقد ذكر المقريزى[5] أن مقدار المتحصل من الخراج فى عهده قد زاد عن الثلاثمائة ألف دينار.

فضلاً عن الحرب والتجارة، مثلت الهدية مصدراً من مصادر حصول السلطة على الرقيق، فقد أهدى الخليفة العباسى المستعين لابن طولون جارية تدعى مياس اتخذها أم ولد[6] كما أهداه ابن المدبر هدية جليلة كان من جملتها مجموعة من الرقيق المجلوب إلى مصر[7] وهو ما ينسحب على على بن ماجور الذى أهداه طائفة من خاصة رقيقه[8]، ونقل

(1) المصدر السابق، ص70.

(2) المصدر السابق، ص ص 153-154.

(3) ابن عساكر: المصدر السابق، ج 47، ص312، ابن إياس: المصدر السابق، ج1، ص 161.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 80، البلوى: المصدر السابق، ص 51.

(5) المصدر السابق، ج1، ص 186، ثم تابع سيدة الكاشف: المرجع السابق، ص 199، *M.Hassan:op.cit,p.245 . Zaky.*

(6) ابن عساكر: المصدر السابق، ج 17، ص45، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص5.

(7) ابن الداية: المصدر السابق، ص131.

(8) البلوى: المصدر السابق، ص 223.

ابن الداية[1] عن نعت أم ولد ابن طولون أنه قد اجتمع عندها ثلة من جميلات الجوارى اللائى أُهدين إلى الأمير ، كما أشارت المصادر إلى اعتياد حاكم النوبة على إرسال الهدايا إلى الخليفة العباسى وأمراء الدولة الطولونية والتى كانت تشتمل على الرقيق[2].

يمكن إدراج الجريمة –من منظور السلطة– ضمن مصادر الحصول على الرقيق، وهو ما تتوفر بخصوصه إشارتان، تتعلق الأولى بما ذكرته المصادر عن اعتياد السلطة استرقاق أعداد من العرب والأقباط إثر قيامهم بحركات انتفاضية[3]، وتختص الثانية باسترقاق ابن طولون أفراد عائلة قائده لؤلؤ إثر إعلانه الثورة عليه[4].

آن لنا بعد الحديث عن دوافع الحضور ومصادر الجلب أن نتتبع الدور الذى لعبه رقيق السلطة الطولونية، والذى يتجلى من خلال رصد توزيعهم– من قبل السلطة– فى مؤسسات الدولة المختلفة بدءًا من حضورهم داخل البلاط وانتدابهم على خدمة أهله، ومروراً بتكليفهم ببعض المهام ذات الصبغة السياسية فضلا عن شغلهم بعض المناصب الرفيعة إدارية كانت أم عسكرية، وانتهاءً بمشاركتهم فى نشاطات سياسية وحربية وثقافية.

على الرغم من الشعور المبدئى بوفرة النصوص المصدرية المتعلقة بحضور الرقيق داخل البلاط الطولونى ونشاطاتهم فيه – باعتبارها حديثا مباشراً عن رموز السلطة ومن دار فى فلكهم والتى تفانى الكتاب فى رصدها – إلا أن حقيقة الأمر تبدو مخالفة لذلك الشعور، فقد ظلت تلك النوعية من الأخبار أمراً شديد الحذر مغلفاً بمسوح أخلاقى باعتباره من المحرمات، ومتمشياً مع رغبة السلطة ذاتها فى حجبها عن الناس وعدم خروجها إلا فى أضيق الحدود وتحت ضغوط ظرفية معينة، لا سيما إذا ما تعلقت تلك الأخبار بحريم البلاط من الجوارى والسريات والمحظيات وأمهات الأولاد والخدم

(1)انظر ابن سعيد: المصدر السابق، ص 93.

(2)المقريزى: المصدر السابق، ج 1، ص 352، ابن إياس: المصدر السابق، ج1، ص175.

(3)الكندى:المصدر السابق، ص 216، الأنبا يوساب:تاريخ البطاركة، إعداد وتعليق ميخائيل اسكندر، سلسلة مخطوطات الأديرة، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ت)، ص 126، المقريزى:المصدر السابق، ج1، ص151.

(4) البلوى:المصدر السابق، ص305، النويرى:المصدر السابق، ج28، ص18.

وغيرهم، وبأخذ تلك الخلفية فى الاعتبار يمكن فهم السر وراء إعراض مؤرخ البلاط الطولونى ابن الداية عن الحديث عن جوارى البلاط إلا فى القليل النادر مما تم تسريبه من خلال نساء القصر وعلى رأسهن نعت أم ولد الأمير ابن طولون[1] فى الوقت الذى أفرد فيه مؤلفا كاملا لغلمان الأمير[2]، ومن المنظور ذاته نضع تلك الرواية الهامة التى وردت على لسان أحد خدام بلاط الأمير خمارويه [3] والتى أخبر فيها أنه سمع - وبشكل عفوى- حواراً دار بين الأمير وبين واحدة من حظياته أفصح من خلاله عن شغفه بها وحبه لها ، فما كان من الخادم إلا أن سارع إلى التوارى والانصراف خشية أن تقع عليه عين الأمير فيكون جزاؤه القتل قبل أن تتسرب تلك الأخبار، وهو ما عبر عنه الخادم بقوله: "**ولو التفت حتى يرانى لذهبت نفسى فرجعت القهقرى حتى غبت عن عينها**" ، وإمعانا فى الحذر ظلت الرواية حبيسة فى صدر الخادم ولم يجرؤ على الإفصاح عنها إلا بعد قتل الأمير، فراح يبوح بها إلى معلمه ممتناً عليه بها ومظهراً معرفته بأدق التفاصيل التى كانت تدور داخل البلاط والتى عجز غيره عن الاحاطة بها فصارت عندئذٍ مادة شديدة الأهمية للرواة والمؤرخين .

غير أن ذلك كله لم يحل دون التقاط أخبار عامة تتعلق بوضعية الرقيق داخل البلاط وتختص بنشاطاته وخدماته وعلاقاته بساداته فضلا عن أعداده ونفقاته، لا سيما رقيق المتعة ورقيق الخدمة.

تتوفر القرائن الدالة على حضور الرقيق داخل البلاط الطولونى وبروز دورهم فيه والذى ما فتئ يزداد تألقاً تبعا لاتساع قاعدتهم واتضاح معالمهم نتيجة للوفرة العددية التى أفرزتها مصادر جلبهم. فمن حيث الجانب العددى تذكر المصادر أن بلاط أحمد بن طولون قد اشتمل على أربعة آلاف مملوك[4]. فى حين ازداد العدد وفرة فى عهد خليفته

(1) انظر نموذجاً لذلك عند ابن سعيد:المصدر السابق، ص 93.

(2) الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج8، ص184، الحموى: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، ج2، ص85، *Zaky M.Hassan :op.cit,p.11.*

(3) انفرد بذكر تلك الرواية نقلا عن معلم الأمير خمارويه ابن العديم:المصدر السابق، ج7، ص 3385.

(4) ابن خلدون :العبر، ج4، ص396.

خمارويه ليصل إلى سبعة آلاف[1]. وتقدم جنازة كل من هذين الأميرين دليلا على كثرة رقيق بلاطهما، فقد خرجت جنازة ابن طولون وقد أحاط بها رقيق البلاط فكانت حرمه منفردة فى خلق عظيم من جواريهن[2]، كما شارك فى تلك الجنازة أعداد غفيرة من الجوارى السودانيات اللاتى ارتج المكان من حولهن لكثرتهن وارتفاع صراخهن[3]. ولم يقتصر الأمر على هذه الأعداد من الرقيق وإنما انسحب ليشمل أعدادا أخرى من جوارى القصر اللائى لم يتمكن من المشاركة فى ذلك الحفل المشهود فرحن يقمن مأتما خاصا بهن أظهرن فيه أنواع الرثاء والعويل[4]. وهو ما نجد له نظيرا فى جنازة خليفته خمارويه، حيث دخل تابوته مصر وسط صياح رقيق بلاطه من الجوارى وأمهات الأولاد والخدم والغلمان فكانت ضجة عظيمة تتوازى مع كثرتهم ووفرتهم[5]. ولنا أن نقدر كثرة رقيق بلاط ذلك الأمير من خلال مقدار الأموال التى خصصت لنفقاتهم الشهرية والتى بلغت حسب رواية المقريزى[6] ثلاثة وعشرين ألف دينار، ولا شك أن هذه الوفرة كانت تفرض توزيعا للمهام من جهة، كما أوجدت من جهة أخرى أصنافا عديدة من رقيق البلاط مثل: الجوارى والحظيات وأمهات الأولاد والخصيان، فضلا عن رقيق الخدمة والتصرف.

برزت جوارى البلاط الطولونى بشكل لافت، جعلت شعراء العصر يتخذون من وصفهن مادة ثرية لاطلاع الناس على ما نعم به أمراء الدولة من ترف ورخاء[7]، فعلى الرغم من طابع التقشف والمسحة الجدية التى غلفت حياة ابن طولون، إلا أن ذلك لم يحل

---

(1) ابن كثير :المصدر السابق، ج 11، ص47.

(2) البلوى:المصدر السابق، ص344.

(3)المصدر السابق، ص 345.

(4)ابن سعيد:المصدر السابق، ص 131.

(5) المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص 134، أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص ص64، 134.

(6) المصدر السابق، ج2، ص 128.

(7) جاء على لسان الشاعر محمد بن طسويه وهو يصف جوارى الطولونيين:

ووجوه من الوجوه حسان وخدود مثل اللآلئ أملس

وكل نجلاء كالغزال وبخلا ورداح من بين حور ولعس.

انظر تلك الأبيات وأبياتاً شبيهة لشعراء الفترة عند المقريزى : المصدر السابق، ج2، ص ص 136-141.

دون كلفه بالنساء وتوسعه فى اتخاذ الحظيات وأمهات الأولاد، ربما بدافع عصبى يهدف إلى تعزيز مركزه بإنجاب أعداد وفيرة من الأولاد، وهو ما تفصح عنه الرواية التى تذكر أنه قد فشا نسله فخلف وراءه ما ينيف عن الثلاثين ولدا من الذكور دون الإناث [1].

وفضلا عن ذلك، ترد رواية أخرى تشير إلى بنائه حصناً بمنطقة الجزيرة ليكون معقلا لحرمه لكثرتهن حين هدده الموفق بغزو مصر [2]. ويتردد فى المصادر ذكر جوارى ابن طولون ضمن حديثها عن مرضه الأخير والذى حذره فيه الأطباء من اجتناب حريمه إلا أنه كان كثير التخليط"**مع الحرم فازدادت علته...واشتهى على بعض حظاياه سمكا قريصا فأحضرته إياه سرا**"[3]. وبلغت جواريه من الكثرة مبلغا جعله يمتنع عن قبول عدد من الجوارى الجميلات اللائى أهدين إليه، فضلا عن أنه لم يبخل بهن على غلمانه ورجاله الذين أهداهم عددا من جواريه الرائعات[4]. وحفظت المصادر أسماء بعض هؤلاء الجوارى وتحدثت عن مكانتهن عنده ، مثل جاريته "مياس" التى شغف بها واتخذها أم ولد فأنجبت له خمارويه[5] ، وجارية أخرى تدعى "أسماء" كان لها محبا لحسنها وجمالها [6]، فضلا عن جاريته المعروفة بـ "نعت" التى صارت أم ولد، وكانت شديدة القرب منه حتى إنها كانت المصدر الأهم لروايات المؤرخين عن ابن طولون وما يتعلق بأدق التفاصيل عن سيرته الذاتية[7]، ولا أدل على تلك المكانة من أن الأمير آثر مفارقة الحياة فى حجرتها فكانت آخر من رأت عينه حيث مات بين يديها [8].

---

(1) الصفدى: المصدر السابق، ج 6، ص 266، ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص47، ابن إياس:المصدر السابق، ج1، ص 167.

(2) البلوى:المصدر السابق، ص 86.

(3) ابن أبى اصيبعة :عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص541، ابن سعيد:المصدر السابق، ص 129.

(4) ابن سعيد:المصدر السابق، ص93.

(5)ابن عساكر:المصدر السابق، ج 17، ص 45، العينى: الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 343 / ل. ، حوادث 282هـ ، ورقة279.

(6) ابن سعيد:المصدر السابق، ص105.

(7)ابن الداية: المصدر السابق، ص 135، البلوى:المصدر السابق، ص343، ابن سعيد: المصدر السابق، .ص ص93، 94، 103، 105.

(8) البلوى : نفسه.

ويقدم البلاط الطولونى فى عهد خمارويه صورة واضحة عن وفرة الجوارى والحظيات، تمشياً مع حياة الترف ومظاهر اللهو التى أحاطت به، ينهض دليلا على ذلك أنه أضاف إلى قصر الجوارى الذى خلفه أبوه قصرا جديدا خصصه لجواريه وأمهات أولاده[1] ويبدو أنه لم يدخر وسعا فى الاستكثار من شراء هذه النوعية من الرقيق، يؤكد ذلك اكتظاظ قصره بجواريه الجدد فراح يخصص دارا جديدة لـ"**المعزولات من أمهات أولاده** "[2]، وتبرز من بين تلك الجوارى جارية تدعى بوران ولع بها ولعا شديدا حتى إنه كان يرى " **أن الدنيا لا تطيب إلا بسلامتها وبنظره إليها وتمتعه بها**"[3]، لذا قدمها على جميع حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها" **حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها**"[4]، وهو ما أوغر صدور حظاياه عليها فسعت إحداهن إلى إحداث وقيعة بينهما غير أنها باءت بالفشل فكان مصيرها القتل[5]. وبلغ إفراط خمارويه فى حب بوران حدا دفعه أن يقبل يديها ورجليها كلما وقع نظره عليها، ولم يتحرج أن يقول لها ذات مرة "**ويلك لو علم الناس بموضعك منى ما حلفونى إلا بك**"[6]، ويكفى أنه أفرد لها دارا خاصة دون سواها عرفت ببيت الذهب[7] والذى اعتبره مؤرخو العصر من اعجب أبنية الدنيا[8]، ولا غرو فقد طليت حيطانه بالذهب واللازورد فى أحسن نقش وأبهج تزويق، وصور نفسه فى أحد الحيطان بصورة بارزة من الخشب وبجواره صورة حظيته المحبوبة[9]، وكانت وفاتها ذات وقع أليم على الأمير حتى انه انكدر لذلك انكدارا شديدا وانكسر انكسارا أثار العطف فى قلب كل من رآه[10].

---

(1) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 57.

(2) نفسه.

(3) المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص129.

(4) الأبشيهى: المستطرف فى كل فن مستطرف، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 1986، ج1، ص441 .

(5) المصدر السابق، نفس الجزء، ص ص 441-442.

(6) ابن العديم: المصدر السابق، ج7، ص 3385.

(7) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 61.

(8) نفسه .

(9) المقريزى:المصدر السابق، ج2، ص 125.

(10) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 61.

كما برز دور الجوارى فى بلاط الأمير العباس بن أحمد بن طولون، نموذج ذلك ما رواه ابن الداية[1] عن حظية من حظياته كان من أولع الناس بحبها فاتخذها أم ولد، وكان لا يطيق فراقها، ولا يتحمل الصد منها، وبلغ فرط هيامه بها أنها أعرضت عنه ذات ليلة لانشغالها بوليدها الرضيع، فما كان منه إلا أن بادرها بقوله:"**والله لولا إنك غلبت على قلبى وملكت قيادى بحبك لقتلتك شر قتلة**"، ثم ما لبث أن عمد إلى الوليد فقتله إرضاء لكرامته، مما تسبب فى وفاة الجارية على الفور.

ولم يقتصر الأمر على الأمراء الطولونيين وإنما امتد ليشمل كبار القواد الذين اقتنوا ثروات ضخمة جعلتهم يشاركون رموز الدولة فى حياة الترف والنعيم، فقد بلغ أحد القواد يدعى فائق درجة كبيرة من الثراء كان من مظاهرها أنه اتخذ من الجوارى والمحظيات نحوا من ثلاثمائة[2]، وهو ما نجد له نظرا عند محمد بن على الماذرائى الذى أفاضت المصادر فى وصف ثرائه الذى مكنه من امتلاك أعداد وفيرة من الجوارى[3]، اللائى برزت من بينهن جارية بلغ إفراطه فى حبها حدا جعله لا يطيق فراقها أبدا، حتى إنها حجت معه اثنتين وعشرين مرة متوالية فى موكب مشهود ، فكان تحت يدها ثلاثين ناقة تتداول عليها الطريق ومائة وخمسين رجلا عربيا لجهازها[4]. وبلغت تلك الجارية مكانة كبيرة جعلتها تشارك فى الحياة التجارية عبر مجموعة من الوكلاء[5]، ويبدو أنها الجارية ذاتها التى أبصرها حسين بن على الرقى جالسة فى الشرفة وحولها جواريها ووصائفها فملكت عليه لبه، وشغلت عقله فترة طويلة، حتى إنه انتهز فرصة مصادرة الإخشيد أموال محمد بن على وسارع يطلب منه السماح له فى أخذها إلا أن محاولته باءت بالفشل[6].وترد إشارة إلى جوارى القائد لؤلؤ اللاتى برز من بينهن جارية تدعى شقرون كان لها طائفة من الخدم يقومون على شؤونها[7]. كما تشير المصادر إلى

---

(1) نقل الرواية ابن سعيد:المصدر السابق، ص 140.
(2)المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص 149.
(3)ابن سعيد:المصدر السابق، ص162.
(4)المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص 152.
(5)ابن حجر: رفع الإصر، ص349.
(6)ابن سعيد:المصدر السابق، ص 162.
(7)المصدر السابق، ص 126.

امتلاك قائد من قواد ابن طولون يدعى الفيل لعدد من الجوارى، أثناء الحديث عن اغتصابه فتاة فقيرة كانت ذات جمال،حيث أخذها عنوة ودخل بها إلى داره وأمر "**الجوارى أن يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ويطيبنها الطيب ويحلينها له**"[1]

تطلب حضور الجوارى والحظيات بالبلاط الطولونى اهتماما ملحوظا بهن من قبل مالكيهن ، فقد خص ابن طولون جواريه بعناية كبيرة حيث أفرد لهن قصرًا خاصًا داخل البلاط وجعل لميدانه المشهور بابًا يؤدى إلى القصر لا يدخل منه إلا من يقوم على شئون الجوارى من الخدم والخصيان[2]، وتجلت عنايته بهن من خلال توقيفه طبيبًا خاصًا للاعتناء بصحتهن يدعى سعيد بن توفيل بعد أن تأكد من مهارته الطبية وتبين أنه حسن المعرفة[3]، غير أن حسن هيئته حركت الغيرة فى قلب ابن طولون فأمره أن يبحث له عن طبيب آخر اشترط فيه قبح الوجه وحسن المعرفة بالطب فوجد سعيد ضالته فى طبيب يدعى هاشما فأخذه وألبسه دراعة وأدخله على الأمير فرضيه[4].

كما بالغ الأمراء فى الاعتناء بزينة جواريهم والإنفاق على ذلك أموالا طائلة، فقد انتدب ابن طولون لهن خبيرا بأمور الزينة من الخصيان يدعى الجصاص ليشرف على زينتهن ويسوق إليهن ما يقع بالبلاد من نفائس الجواهر وثمين الثياب[5] ، ولنا أن نقدر براعة اختيار ذلك الرجل من خلال شهادة الخليفة العباسى المعتضد بالله الذى عده من عجائب الدنيا فى عصره لمهارته وتبصره بوسائل زينة النساء[6]. وبعد وفاة ابن طولون ظل الجصاص مشرفا على زينة جوارى خلفه خمارويه، فقد جاء على لسان الجصاص أنه كان صنيعة خمارويه الذى اختصه لشراء الجوهر" **لنفسه وأولاده وجواريه**"[7]، كما يسوق

---

(1) الاتليدى: المصدر السابق، ص 424.

(2) البلوى:المصدر السابق، ص ص 54، 86.

(3) ابن أبى اصيبعة: المصدر السابق، ص543.

(4)نفسه.

(5) ابن كثير :المصدر السابق، ج 11، ص 156.

(6) الثعالبى:ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص 451.

(7) ابن الجوزى:أخبار الحمقى والمغفلين، المكتب التجارى، بيروت، (د.ت)، ص57، التنوخى: نشوار المحاضرة، تحقيق عبود الشالجى، مدينة حمدون، 1973 ، ج2، ص37.

الرجل ذاته رواية تؤكد على مدى اهتمام خمارويه بجواريه ومبالغته فى الإنفاق على زينتهن، حيث ذكر أنه كان مشرفا على دهليز حرم الأمير يتوكل لهن فى شراء الجواهر، فوقع تحت يده عقدا لواحدة منهن يحتوى على مائة حبة من الجوهر بلغ ثمن الحبة منها ألفى دينار[1]، كما نقل التنوخى[2] و ابن الجوزى[3] رواية عن جارية من جوارى الأمير كان قد تدهور بها الحال بعد سقوط الدولة، فاضطرت إلى التخفى وبيع ما معها من الجواهر بعدة آلاف من الدنانير بسوق الخرازين. ولم يكتف خمارويه بذلك، بل إنه خصص مبالغ طائلة من أموال الخراج لشراء ما يلزمهن من الثياب الرفيعة والأقنعة الباهظة الثمن، وعهد بذلك الأمر إلى المشرف على الخراج محمد بن على الماذرائى[4]، ولعل فيما أوردته المصادر عن صور جواريه التى حفظت بقصر الذهب المشهور ما يؤكد على بالغ هذا الاهتمام، حيث ظهرن فى " **أبهج تزويق وعلى رؤوسهن الأكاليل من الذهب والجوهر المرصعة وفى آذانها الأخراص الثقال ولونت أجسامها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة**"[5].

فضلا عن الجوارى والحظيات، كان دور الرقيق بارزا بمجالس اللهو والمجون التى انتشرت داخل البلاط الطولونى، ولا عجب، فقد أقبل الأمراء إقبالا شديدا على سماع الغناء والشجا والطرب وأنواع الرقص والانكسار وأصناف الملاهى حتى إن القطائع بذت بغداد فى هذا المجال واشتهرت بأنها مدينة اللهو والترف والخلاعة - والتى ساهم فيها الرقيق لا سيما الجوارى بدور كبير- فصارت مضرب المثل فى كلمات الشعراء[6] الذين أفاضوا فى الحديث عما ضمنته قصور الأمراء من "**الجوارى المغنيات ذوى الدلل والخفر**"[7] و" **القيان تشدوا على الفرش بما استحسنوا من الألحان**"[8]. تجدنا إذًا أمام اهتمام

---

(1) تابع الرواية عند ابن الجوزى:المنتظم ، ج6، ص211، الصفدى: المصدر السابق، ج12، ص240، ابن كثير: ج11، ص 156، الذهبى:السير، ج14، ص469.

(2)المصدر السابق، ج2، ص37.

(3) المصدر السابق، ص ص 57-58.

(4) المقريزى:المصدر السابق، ج2، ص 150.

(5)أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 55.

(6)انظر أبياتاً عديدة وردت على ألسنة شعراء الفترة فى وصف القطائع وما احتوته قصورها من مظاهر اللهو والترف ومشاركة الرقيق فيها عند : الكندى:المصدر السابق، ص ص 271-277، المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص ص 136 -141، ثم تابع طرفاً من استنكار الفقهاء لهذه الوضعية عند ابن كثير:المصدر السابق، ج11، ص 158.

(7)المقريزى:المصدر السابق، ج2، ص140.

(8)الكندى:المصدر السابق، ص 284.

مباشر من قبل الأمراء الطولونيين بالحياة الفنية داخل قصورهم - والتى شكل الجوارى حلقة مركزية فيها -تبلورت فى مجالس الطرب واللهو التى اشتهرت بها بلاطات الطولونيين الذين أقبل بعضهم على الغناء والموسيقى إقبالا شديدا.

هكذا وعلى الرغم مما عرف به مؤسس الدولة من الانصراف إلى تدبير شئون الدولة وانقطاعه أحيانا إلى النسك والعبادة [1]، إلا أن بلاطه شهد مجالس الطرب والغناء، حيث اقتنى مجموعة كبيرة من القيان اللائى لم يدخر وسعا فى الاعتناء بهن وتخصيص من يشرف على تعليمهن ضروب الغناء والموسيقى، فقد أشار البلوى[2] صراحة إلى امرأة كانت قائمة على شئون جوارى الأمير المغنيات تدعى الواثقية كانت تشرف على تلقين القيان فنون الغناء وتدريبهن على آلات الموسيقى وإعدادهن لمجالس الغناء والطرب، والتى ما فتئت تزداد تألقا فى ساعات الهموم التى كانت تنتاب الأمير، حيث تجلى دور واحدة من هذه القيان فى إدخال السرور على نفس الأمير حين اعتلاه الهم من جراء خلافه مع الموفق، إذ ألف أبياتا بالتركية ، وأمر الواثقية أن تحفظه للقيان اللائى تحت يديها وأن تشرف على تلحينه وغنائه، ففعلت واختارت منهن تلك الجارية التى اتصفت بروعة الصوت، وقامت على تدريبها ببراعة، حتى إن الأمير أقسم حين غنته الأبيات أنه ما سمع أرق ولا أشجى من صوتها. وفضلا عن هاته الإشارة، ترد إشارة أخرى تفصح عن دور الجوارى فى المشاركة فى إحياء المأتم السرى الذى أعدته الواثقية عند وفاة الأمير، حيث قمن فيه بالندب والضرب بالعيدان والرقص على إيقاع الموسيقى وهن يغنين أبياتا من الرثاء[3]، وهو ما ينسحب على بعض الجوارى السودانيات اللائى شاركن فى التعبيرعن حزنهن بموته "**فرقصن عليه بالعيدان والألحان**" [4].ولم يقتصر الغناء فى تلك المجالس على

---

(1)حتى تلك المظاهر لم تخل من ألوان الطرب حيث أشار المقريزى إلى اتخاذ الأمير حجرة بقرب ميدانه كان يجتمع فيها رجال يتعاقبون الليل بألوان التكبير والتهليل وقراءة القران " تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد زهدية"، المصدر السابق، ج2، ص 126.

(2) المصدر السابق، ص ص 346-347.

(3)نفسه، ص 146

(4)ابن سعيد: المصدر السابق، ص 131، البلوى:المصدر السابق، ص344، وتصف المصادر الجوارى السودانيات بأنهن جبلن على الرقص الموزون والضرب بالطبل على الإيقاع الموزون حتى صرن من اشهر أجناس الجوارى المتخذات للرقص والزمر والغناء، انظر مجهول: شراء الرقيق، ورقة 47، ابن بطلان: رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954، ص374.

الجـوارى فحسـب، إذ تـرد معلـومـات عن مملوك يدعى "كنيز" اتخذه ابن طولون مغنيا له[1] بلغ درجة فائقة من المهارة الفنية التى كانت وراء اعتراف الأمير أنه ما سمع صوتا أجمل من صوته منذ فارق سامراء[2].

كذا، ماج بلاط خمارويه بألوان الطرب والغناء وضروب اللهو والترف حتى صار كأنه ضرورة من ضروریاته[3]، ودعاه شغفه بتلك الأمور إلى الاستكثار من اقتناء القيان والمغنيات حتى إنه خصص لهن حجرا منفردة فى قصره عرفت بـحجر مغنيات الأمير[4]، بل لم يدخر وسعا فى مجاذبة كبار الموسيقيين والمغنيين إلى بلاطه للارتقاء بمستواهن الفنى وتلقينهن فنون الغناء، نموذج ذلك ما ذكره الأصفهانى[5]عن رجل من حذاق المغنين وكبارهم يدعى" نبيكة" استدعاه خمارويه من بغداد إلى القطائع لهذا الغرض ولم يبخل عليه بالعطايا والمنح والهدايا لإدراكه نجاحه المشهود فى إنجاز مهمته ، وتفنن القيان فى ألوان السماع وضروب الطرب بمجالس الغناء ببلاط الأمير بشكل دفعه أحيانا إلى مغالبة النوم حرصا على النهل من المتعة والطرب حتى اعتادت نفسه على السهر وفقدان القدرة على الراحة مما حدا به أن يأمر طبيبه الخاص بمعالجة الأمر[6]، وأحيانا أخرى إلى اتخاذ بعـض القـرارات المتسـرعـة فـى عنفـوان متعتـه بالغناء والطرب، وهو ما تؤكده رواية المقريزى[7] التى نقلتها بعض مصادر الفترة المفقودة عن الماذرائى الذى قدر له أن يحضر إحدى هذه المجالس ذات ليلة وقد خلا الأمير فيها بمغنياته، فلما أخذ منه الطرب مأخذا أمر بنثر ما بقصره من أموال عليهن ونهى الغلمان عن أخذ ما يقع ببركة الماء من دنانير وأمر بتركها لصاحب الرواية، فبلغت سبعين ألف دينار. وهو ما نجد له مثيلا فيما نقله ابن عساكر[8] عن الماذرائى أيضا الذى استهجن تسرع خمارويه فى الأمر بمنح أحد المغنين

(1)ابن سعيد:المصدر السابق، ص 112.
(2)البلوى:المصدر السابق ص 217.
(3)نفسه، ص 286، الكندى:المصدر السابق، ص 264.
(4) الأبشيهى:المصدر السابق، ج1، ص 440.
(5)الأغانى، تحقيق سمير جابر، دار الفكر ، بيروت، (د.ت)، ج2، ص226.
(6)أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 55.
(7)المصدر السابق، ج2، ص 150.
(8)المصدر السابق، ج17، ص47.

مائة ألف دينار ذات يوم حين امتلكته نشوة الطرب . ولعل فى وصف المصادر لبيت الذهب الذى أعد خصيصا لهذه المجالس ما يؤكد على اهتمام خمارويه بجواريه المغنيات فضلا عن دورهن المشهود داخل البلاط ، فقد صور نفسه على إحدى حيطان البيت وقد أحاط به من كل جانب " **المغنيات اللاتى تغنيه فى أحسن تصوير**" [1]. ويمكن الإمعان فى التأكيد على دور الجوارى المغنيات ببلاط خمارويه من خلال إشارتين متفرقتين، تتعلق إحداهما بوصف مجلس شرب و طرب كان يواظب الأمير على حضوره مع حظياته فى الليل وسط " **قيناته تغنين**" [2]، بينما تختص الثانية بالحديث عن يتيم – تولى الأمير تربيته – أرسله ذات يوم إلى حجرة من حجر جواريه فأبصر" **جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين** "[3].

لم يشذ العباس بن طولون عن أبيه وأخيه فى الإقبال على أصناف الملاهى ومجالس اللهو التى اعتمدت بالأساس على مواهب الرقيق [4]، وهو ما ترد بخصوصه رواية تتحدث عن استدعائه لجارية له " **مغنية وهو يصطبح ... ومعها غلام يحمل عودها**" [5].

على الرغم من عدم امتلاك مادة مباشرة تتحدث عن حضور هذا الصنف من الرقيق ببلاط الأمراء الطولونيين الآخرين إلا أن ذلك لا يمنع من التكهن بذلك، لا سيما فى عهد جيش بن خمارويه الذى لم تجد بعض المصادر سببا لانهيار الدولة فى عهده أبلغ من

---

(1) نفسه.

(2) نفسه، ج2، ص126.

(3) الابشيهى: المصدر السابق، ج1، ص 440.

(4) يصفه ابن الداية بأنه كان " **من أراذل أبناء الملوك جمع من الخلال التى تبعده من الرئاسة فى الدنيا والفوز فى الآخرة ما لم يجمعه ابن ملك**" انظر ابن سعيد:المصدر السابق، ص 120، وتفيض المصادر فى الحديث عن مجالس اللهو التى انشغل بها عن معالى الأمور فكانت مجالس "أنس ومرح ومرتع لهو ومهد سرور"، انظر الرقيق القيروانى: قطب السرور فى أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندى، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1969، ص 370، الحصرى القيروانى: جمع الجواهر فى الملح والنوادر، تحقيق محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1953، ص 164.

(5) الأبشيهى :المصدر السابق، ج1، ص228، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت ، 1996، ج3، ص201.

استجابته الكبيرة لنزواته وإقباله الشديد على اللهو ومجالس السكر والمجون والخلاعة والتى قامت فى الاساس على جهود الأراذل والأوباش من غلمانه ومماليكه[1]، وهارون بن خمارويه الذى وصفته المصادر بأنه تشاغل عن أمور الدولة " **باللهو والطرب**"[2].

لم يكن اقتناء القيان للاستمتاع بهن عبر مجالس اللهو والطرب حكرا على الأمراء الطولونيين وإنما تعداه إلى بعض رجال البلاط من كبار القواد، بشكل يمكن اعتباره جزء من حياتهم اليومية، فقد أشار التنوخى[3] إلى امتلاك الكاتب الحسين بن رستم الماذرائى مجموعة من القيان اللائى اشتهرن بجمال أصواتهن وطيب غنائهن، و تحدث البلوى[4] عن رجل تركى من رجال حاشية ابن طولون كان قد افتقده الأمير أياما فكلف بعض رجاله بأن يأتيه بخبره، فوجده قد انشغل بجارية له فى نهاية الحسن والجمال وقد جلس إليها "**وجاءتها جاريتها بعود فوضعته بين يديها ...وأخذت العود فغنت أحسن غناء وأطيبه وأحذقه**" .

أما بالنسبة للخصيان، فإنهم تسربوا إلى بلاط الطولونيين على نطاق ملحوظ، حيث تم الاستفادة منهم فى شتى المهام المتصلة بأبهة الإمارة وترف الحكم[5]، لا سيما الإشراف على الحريم فضلا عن الاستمتاع بهم، وهو ما عبر عنه عبدالله بن طاهر أمير مصر حين وصف الخصيان بأنهم " **بين النساء رجال وبين الرجال نساء**"[6]، وهكذا أحاط ابن طولون نفسه بعدد كبير من الخصيان لخدمة حريمه حتى إنه خصص فى الميدان المشهور بابا " **لا يدخل منه إلا خادم خصى أو حرمة**"[7]، وفضلا عن دورهم داخل البلاط، تقدم إحدى الروايات دليلا على استخدام بعضهم فى مهام خارج القصر، فقد علم ابن طولون بحلول

---

(1)ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 400، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 90، ابن سعيد:المصدر السابق، ص 143.

(2)الكندى:المصدر السابق، ص 269.

(3) نشوار المحاضرة، ج6، ص213 .

(4)المصدر السابق، ص120.

(5)عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق احمد بكير، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ج1، ص 440.

(6)أبو المحاسن:المصدر السابق، ج2، ص 195.

(7) المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص 123، أبو المحاسن :المصدر السابق، ج3، ص 16.

الفقيه الزاهد محمد بن نصر ومجموعة من إخوانه أرض مصر فبادر إلى إكرامهم بهدية كبيرة حملها إليهم خصى من خصيان الأمير[1].

وبالمثل حشد خمارويه الخصيان فى قصره حيث اختلطوا بحريم البلاط حتى أشيع أن " جواريه يتخذون الخصيان يفترشوهن"[2].وحين جهز الأمير للزواج من الخليفة العباسى المعتضد انتدب للإشراف على جهازها" خصيا من الخدم الموكلين بها"[3].

وثمة عامل آخر ساهم فى إقبال الطولونيين على الخصيان ، تمثل فى التمتع بهم كمظهر من مظاهر الشذوذ الجنسى[4] الذى يصب فى ترسيخ النظرة الدونية للرقيق من جهة ويعكس من جهة أخرى أثر الرقيق السلبى داخل البلاط الطولونى، فقد تعددت إشارات المصادر عن شغف رجالات البلاط بالخصيان ، فقد أورد البلوى[5] رواية تشير إلى اشتهار ابن طولون باتخاذه للغلمان، وهو ما دعى على بن ماجور أن يرسل إليه هدية مشتملة على ثلاثة غلمان من الخصيان ممن توفرت فيهم حظوظ الجمال حتى يصيرهم لخلوته ومتعته، حتى إن أحدهم قد بدا أمام الأمير يوما فى خلعة رائعة قد ازداد بها حسنا وجمالا ، فتحسر الأخير أن أدركه الغلام فى سن متأخرة من حياته فقال له: "لو لحقتنى فى شرخ شبابى لما أفلت منى"، وأمر بإهدائه إلى ابن أخيه محمد بن موسى الذى وصف بأنه كان " عفيف الفرج" فأوقفه على خدمة زوجته .ويبدو أن استفحال الظاهرة ببلاط ابن طولون كان

(1) ابن الجوزى: المنتظم ، ج6، ص186، البغدادى: المصدر السابق، ج2، ص165، السيوطى:طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ، ص319، السبكى:طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحى، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، 1992، ج2، ص251.

(2) ابن خلدون: العبر، ج4، ص400، النويرى: المصدر السابق، ج28، ص31.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 135، ابن خلدون: العبر، ج4، ص 399.

(4) يبدو أن من عوامل انتشار تلك الظاهرة فى ذلك الوقت ما روجه بعض المنجمين من خطورة جماع الإناث إذا دخل كوكب الزهرة البيت السابع الذى هو بيت النكاح، وهو ما أكد على صحته ابن الداية حين أشار إلى تفضيل رجالات الدولة عندئذ"نكاح الأدبار على الفروج ...والاجتماع مع جماعة ممن يفسق بهم من الغلمان على وطئ الحريم" انظر كتابه شرح كتاب الثمرة لبطلميوس ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 5924ملى ملك، ورقة 44.

(5) المصدر السابق، ص 223.

وراء استنكار أحد متصوفة العصر عليه إقدام بعض رجاله على شراء الخصيان المردان وإلباسهم لباس الجوارى واتخاذهم الطرر والقراطق والأصداغ[1].

وزادت الظاهرة استفحالا فى عهد خمارويه الذى اشتهر بعشقه للخصيان وكثرة لواطه بهم[2] حتى إنه تمكن من استصدار فتوى من الفقيه الطحاوى بمشروعية الأمر، وهو ما لقى استهجانا شديدا من فقهاء العصر الذين اتهموا الفقيه فى دينه لأنه " **أفتى أبا الجيش من أمر الخصيان**" [3]، وبلغ من جرأة خمارويه أنه كان يدخل بخصيانه الحمام ليمارس معهم الفاحشة على مرأى من الحاضرين، حتى إن أحدهم أخذه الحياء وامتنع من الممارسة فكان عقابه أن أمر الأمير بإدخال خشبة غليظة فى دبره حتى مات[4]. وتذهب بعض الروايات إلى أن السبب وراء قتل خمارويه أن هؤلاء الخصيان قد استقبحوا ما كان يفعله بهم وأنفوه فتواطؤا على قتله بعد أن استشاروا العلماء فأفتوهم بأن " **اللوطى ..حده القتل**" [5].

لم يشذ جيش بن خمارويه عن أسلافه، حيث اشتهر بكثرة ما صدر عنه من" **أمور أنكرت عليه فاستوحش الناس منه** "[6]، كان منها عشقه لغلام رومى وضيء يدعى بندقوش، بلغ من فرط شغفه به أنه ما كان يطيق فراقه[7] ولم يتورع عن السماح له بممارسة شذوذه على مرأى من الحضور، لا سيما فى مجالس المنادمة ، فيضع "**فى مخرجه فجلة ويجعل خروفا يرعى ورقها وهو يمشى على أربع**" [8]، وهو ما أثار حفيظة كبار رجال الدولة فقتلوهما جزاء ما اقترفت أيديهما[9].

---

(1) المصدر السابق، ص 215، ابن سعيد: المصدر السابق، ص 110.

(2) ابن عساكر: المصدر السابق، ج17، ص 49 .

(3) ابن حجر: لسان الميزان، ج1، ص276، ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص 292.

(4) ابن عساكر:المصدر السابق، ج 17، ص 150، العينى:المصدر السابق، ج2، أحداث 282 هـ، ورقة 23 ، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 63.

(5) ابن عساكر:المصدر السابق، ج17، ص49، الذهبى:العبر، ج2، ص74.

(6) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 88.

(7) نفسه.

(8)ابن سعيد: المصدر السابق، ص 143.

(9) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 93 .

وفضلا عن الحظيات والقيان والخصيان، وسعياً إلى تحقيق أقصى استفادة من الرقيق داخل البلاط، سعى الطولونيون إلى شحن قصورهم برقيق الخدمة والتصرف من الوصائف والوصفان والحشم لتدبير شئونها والقيام على خدمة أهلها[1]، وفى هذا الصدد تشير رواية إلى أن بلاط ابن طولون قد احتوى فى بداية أمره على "ثلاثمائة خادم" [2]، ويبدو أن العدد قد أخذ فى الازدياد، ينهض دليلا على ذلك تلك الرواية التى تشير إلى أن مقدار نفقتهم اليومية قد بلغت ألف دينار[3]، ولا غرو أن تكون تلك الوفرة وراء إفراد الأمير بابا خاصا داخل قصره لا يدخل منه "إلا خادم" [4]، وهو ما تلح على تأكيده الرواية التى تتحدث عن وفرة الخدم الذين شاركوا فى جنازته فوصفوا بأنهم "خلق عظيم"[5]. ويبرز دور هؤلاء الخدم داخل بلاط ابن طولون من خلال بعض الإشارات، فقد تحدثت إحدى الروايات عن الخدم الذين كلفهم ابن طولون بخدمة ابن المدبر والإشراف على طعامه حين حدد إقامته داخل البلاط[6]، وأشارت رواية أخرى إلى تناثر الخدم فى المطابخ التى أنشأها الأمير لإطعام الفقراء والمحتاجين وتولى خدمة حمل الموائد إليهم والإشراف على إطعامهم[7]، وحسب رواية ثالثة كلف الأمير "بعض خدمه" بالمسير بمجموعة من الجوارى اللائى أهدين إليه إلى بعض قواده [8].

وبالموازاة، حذا خمارويه حذو أبيه فاحتوى بلاطه على أعداد غفيرة من الخدم ، تطلبت وفرتهم تعيين من يتولى الإشراف عليهم تنظيما وتدريبا وتربية[9]، كما كانت تلك الوفرة

---

(1) عن الشروط الواجب توافرها فى رقيق الخدمة وأفضل الأجناس التى يختارون منها، فضلا عن كيفية انتظامهم داخل البلاط. انظر مجهول: شراء الرقيق، ورقة 42-51، الطوسى:المصدر السابق، ص ص 144، 162.

(2) البلوى:المصدر السابق، ص 222.

(3) ابن الجوزى: المنتظم، ج5، ص 72.

(4) البلوى:المصدر السابق، ص 54.

(5) نفسه، ص 344.

(6) نفسه، ص 176.

(7) نفسه، ص197، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 17.

(8) ابن سعيد:المصدر السابق، ص 93 .

(9) الصفدى:المصدر السابق، ج12، ص 240، الذهبى:السير، ج14، ص 469، ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 156.

وراء دخول بعض هؤلاء الخدم فى جملة الهدايا، حيث تستوقفنا الهدية التى أرسلها الأمير إلى الخليفة المعتضد والتى اشتملت على عشرين حملا من البغال"وعشرة من الخدم"[1].وتتوالى الإشارات عن دور هؤلاء الخدم داخل البلاط، فقد أشرف بعضهم على خدمة جوارى الأمير وحظياته، وهو ما تفصح عنه الرواية التى تذكر أنه وظف لجواريه"من يخدمهن ويتصرف فى حوائجهن"[2]، فصار لكل جارية حجرة كبيرة" وأقام لكل حجرة من الخدم ..شيء كثير"[3].برز من بينهم خادم أسود كان له دور واضح أثناء ولادة واحدة من زوجات الأمير، حيث تمكن من إحضار قابلة ماهرة يسرت على الزوجة ولادتها فزادت مكانته عندها[4]، وهى رواية تفصح عن دخول ذكور الرقيق ضمن خدم الحريم، الذين يمكن التكهن بأنهم من الخصيان، حيث تذهب رواية ابن الداية[5]- ومن نقل عنه[6] - إلى أن الخصيان الذين تولوا قتل خمارويه كانوا خدما نيف عددهم على العشرين كانوا يختلطون بالجوارى والحظايا، وتدعمها رواية ابن عساكر [7] التى ذكرت أن الأمير كان " كثير اللواط بالخدم " .

ولم يقف حضور الخدم على جوارى الأمير وإنما انسحب أيضا على خدمة أميرات البيت الطولونى، حيث ترد إشارة إلى الخدم والوصائف اللائى أقمن على خدمة الأميرة قطر الندى بنت خمارويه، وكان من بينهن أولئك اللاتى أحطن بها حين تجهزت للخروج إلى بغداد للزواج من الخليفة العباسى [8].كما برز دور هؤلاء الخدم فى القيام على خدمة ضيوف البلاط، وهو ما تؤكده رواية ابن حجر[9] التى تذكر أن الخدم انتشروا ببلاط الأمير لخدمة الضيوف الذين شهدوا حفل نكاح أحد أبنائه.ولم يخل عهد هارون بن

(1) الطبرى: المصدر السابق، ج5، ص 605.
(2) المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص128.
(3) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 58.
(4) ابن الداية: المكافأة، ص ص 206-207.
(5) انظر ابن سعيد: المصدر السابق، ص 139.
(6) ابن خلدون: العبر، جـ4، ص 400، ابن كثير:المصدر السابق، ج11، ص 72.
(7) المصدر السابق، ج 71، ص 49.
(8) الحلى:المصدر السابق، ص 345، الذهبى:السير، ج13، ص468، ج14، ص470، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج2، ص249، أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص ص 61-63، القلقشندى:صبح الأعشى، ج14، ص 47.
(9) ابن حجر : لسان الميزان، ج1، ص279، ص385.

خمارويه من إشارات مصدرية تومئ إلى وجود الخدم ببلاطه ، حيث تذهب الروايات إلى أن اغتياله قد تم بمساهمة فاعلة لخدمه المقربين منه[1].

ولم يكن حضور الخدم قاصرا على الأمراء ، فقد اعتاد الوزير الحسن بن مخلد الخروج يوم الجمعة وبصحبته مجموعة من الخدم يحملون بأيديهم الجنائب الكثيرة [2]، كما ترد إشارة إلى دور الخدم فى قصر الوزير محمد بن على الماذرائى، حيث تولوا خدمة عشرة من ضيوفه بحمل موائد الطعام إليهم ومصاحبتهم إلى مواضع النوم والخلاء[3].

هكذا تفصح الإشارات الآنفة عن حضور مشهود للرقيق ببلاط الطولونيين، من خلال تعدد أصنافهم بين جوار وحظيات وأمهات أولاد وقينات وخصيان وخدم، وتنوع نشاطاتهم بين تلبية حاجات ورغبات الأمراء المختلفة وتدبير شئون القصر والقيام على خدمة أهله.

وإذا ما قادت تلك المعطيات إلى قناعة تفصح عن أن هذا الحضور كان فى مجمله سلبياً ينصب على مظاهر اللهو والترف وأشكال المجون والخلاعة ويتناسب مع هذه النوعية من الرقيق، فإن الأمر يختلف تماما حين يتعلق بنوعية أخرى من الرقيق حازوا قدرا من المهارة السياسية والإدارية والعسكرية والفكرية أهلتهم لاعتماد السلطة عليهم فى تنفيذ مهام تتناسب مع مختلف قدراتهم وشتى مهاراتهم، أثبت فيها البعض نجاحاً وضلوعاً دفع السلطة إلى تقريبهم منها واصطفائهم لشغل بعض المناصب الرفيعة والمراكز المرموقة .

تجلى حضور الرقيق الإيجابى من خلال استخدام السلطة لهم فى تنفيذ الأوامر والاضطلاع بالمهام[4] سواء داخل البلاط أو خارجه، وهكذا تعددت هذه المهام وتباينت أهميتها، فقد اختص الرقيق بتأديب المناوئين والقبض على المطلوبين ومصادرة أملاك المخالفين، فمن جانبه كلف ابن المدبر بعض غلمانه بتقريع وتأديب الشعراء الذين لا يرتضى مدحهم له[5]، ولما ظفر ابن طولون بابنه العباس أمر ببطحه على الأرض وأمر

(1) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج3، ص 134.
(2) الذهبى:السير، ج13، ص8.
(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ج3، ص 151.
(4) خصص الطوسى فصلا بعنوان:"إرسال الغلمان فى المهمات من البلاط" بين فيه أن من عادات الساسة والمتنفذين آنئذٍ أن يرسلوا " الغلمان فى مهام من البلاط " ، المصدر السابق، ص 110.
(5) ابن عساكر:المصدر السابق، ج5، ص391، ابن خلكان:المصدر السابق، ج2، ص19، ج7، ص 56، الذهبى:السير، ج14، ص469.

غلامين له بأن يوجعاه ضربا[1]، ولم يتم استدراج ابن المدبر نفسه من الشام إلى مصر ليتم القبض عليه وإنهاء دوره السياسى إلا عن طريق مملوك لابن طولون يدعى " إينح" الذى بلغ درجة كبيرة من الدهاء خدع بها الرجل وجاء به طائعا إلى الأمير[2]ليأمر بحبسه وتأديبه على يد مجموعة من المماليك[3]، وتولى بعض مماليك ابن طولون مهمة تحديد إقامة رجل من رجال شرطته يدعى القاسم بن شعبة وحبسه فى داره والقيام على حوائجه وحوائج أهله ومنعه من الاتصال بأحد من الناس[4]، وحين ارتاب ابن طولون فى اتصال يوسف بن إبراهيم برجال بغداد أمر مجموعة من خدمه بالقبض عليه والبحث عن دليل إدانته، ولم تشفع وفاة المطلوب ساعة مداهمة الدار عند هؤلاء الخدم، فلم يتورعوا عن القبض على ولديه وحمل صندوقين من الدار كان فى أحدهما ما يثبت جريمته[5]. ويبدو أن اختصاص الرقيق أساسا بالقبض على المخالفين قد جعلت الكاتب أحمد بن بحر يرتعد خوفا ويرتاع هلعا حين دق بابه مجموعة من غلمان ابن طولون يحملون بأيديهم المشاعل والشمع لاستدعائه ليلا[6].وتبرز تلك المهمة فى عهد هارون بن خمارويه الذى امتلكه الخوف من اتساع سلطة حاجبه سمجور فأمر مجموعة من غلمانه بالقبض عليه واعتقاله[7].

كما أوكل الطولونيون إلى رقيقهم مهمة مصادرة أملاك مخالفيهم، وهو ما ترد بخصوصه إشارة تتعلق بتكليف ابن طولون عددا من غلمانه بمهمة القبض على رجل من أصدقائه والاحتياط على جميع أمواله حين راوده الشك فى إخلاصه له[8].

كذا تم تسخير الرقيق فى مهمة كشف الحقائق ورفع الظلم عن العاجزين، فقد كلف ابن طولون مجموعة من غلمانه بكشف حقيقة ارتيابه من تعالى نباح كلب فى أحد الليالى ،

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 123.
(2) ابن عساكر: المصدر السابق، ج 5، ص 393.
(3) البلوى: المصدر السابق، ص 176.
(4) المصدر السابق، ص 240.
(5) ابن الداية: المكافأة، ص 88، ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج2، ص84.
(6) البلوى:المصدر السابق، ص 226.
(7) أبو المحاسن : المصدر السابق، ج3، ص 104.
(8) البلوى: المصدر السابق، ص152.

فتمكن الغلمان من إمساك أحد المعتدين على حرمات الناس معتمدا على قوة كلبه، وأحضروه إلى الأمير الذى أمرهم بتأديبه وحبسه[1]، وحين بلغ ابن طولون طغيان رجل من الأثرياء يدعى ابن دشومة وأكله مال رجل ضعيف كلف طائفة من مماليكه تولى الأمر، فنجحوا فى إنصاف المظلوم واسترداد حقه كاملا غير منقوص[2]، وانتدب ابن طولون أيضا غلمانا له وكلفهم مهمة البحث عن رجل كان يعتاد الخروج ليلا لسبه والتطاول عليه، فتمكنوا من رصده والقبض عليه والتحقق من خلل عقله[3].

وفضلا عن المهام السابقة، تم توظيف الرقيق فى مجال خطير كان له انعكاساته الواضحة على المسار العام للدولة ونقصد به عملية الاغتيال السياسى، والتى كانت تتطلب قدرا كبيرا من الدقة والمهارة فى الحبك واستخدام الحيل، والتى كانت تلجا إليها السلطة أحيانا لتصفية الأعداء والمناوئين لا سيما حال عجزهم عن المواجهة المباشرة.

يقدم البلوى[4] رواية تشير إلى بواكير دور الرقيق فى تنفيذ تلك المهمة من خلال حديثه عن مؤسس الدولة الذى أقدم على انتداب خادم تربى فى دسائس البلاط -كان قد أهداه إياه على بن ماجور- لاغتيال واحد من خصومه، إلا أن الورع تملك الخادم فأحجم عن أداء المهمة وأجاب الأمير حين سأله عن السبب بقوله: "**يا مولاى لو كنت لك وحدك لقتلته ولكنى لك ولخالقى وخالقك وما اقدر أن أرضيك بسخطه** "، ونظرا لسرية الأمر لم يجد الأمير بدا من التخلص من الخادم لطمس الخبر . غير أن موقف الخادم هذا قد عز نظيره، حيث لم يدخر الرقيق وسعا فى المسارعة لتنفيذ تلك العملية أملاً فى الحظوة لدى الأمير، حيث نجح الأخير فى التخلص من الوزير الحسن بن مخلد بعد ان توجس منه خيفة بمساعدة واحد من مخلصى خدمه، حيث أظهر الخادم براعة فى الأداء حين دس للوزير سما فى شرابه وأرداه قتيلا[5]، وفى السياق ذاته تأتى تلك الرواية[6] التى تشير إلى

(1) ابن حمدون:المصدر السابق، ج1، ص ص 443-444.

(2) البلوى: المصدر السابق، ص 191.

(3) المصدر السابق، ص ص 203، 204، ابن حمدون:المصدر السابق، ج7، ص256.

(4)المصدر السابق، ص 232.

(5) التنوخى: نشوار المحاضرة، ج8، ص34.

(6) انظر البلوى: المصدر السابق، ص 67، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 243،
Zaky M.Hassan:op.cit,p.56.

اغتيال الثائر العلوى على يد بعض الغلمان الذين قتلوه وحملوا رأسه إلى ابن طولون بغية التزلف إليه، بيد أن الأمير أقدم على قتلهم جميعا خوفا على نفسه وحرصا منه على التخلص من هذه النوعية من الرقيق التى قد لا تتورع فى سبيل الطموحات الشخصية عن فعل أى شىء.

وإمعانا فى الاعتماد عل الرقيق فى تنفيذ عملية الاغتيال- نظرا لقربهم من الشخص المستهدف وسهولة المروق إليه وما يتبع ذلك من إمكانية طمس معالم الجريمة بالتخلص من منفذيها لهوانهم ودونية وضعيتهم- لم يتردد العباس بن طولون فى استخدامهم كأداة فى المحاولات التى قام بها للتخلص من أبيه وأخيه ، فقد اختار واحدا من عبيده لاغتيال أبيه فى فراشه، ولما أحاط الفشل بالمؤامرة سارع إلى قتله لخطورة بقائه حيا " **فأمر عبيده بقتله فقتلوه**"[1]، ويبدو أن اختصاص الرقيق بمهمة الاغتيال كانت وراء إقدامه على قتل ثلاثة من خدمه ارتاب فيهم حين لاحظ اجتماعهم للتشاور سرا ، ظناً منه أنهم يتآمرون على قتله لصالح أبيه حين خالفه وهرب إلى برقة[2]، ومن المنظور ذاته، لم يتردد فى تسخير الرقيق لاغتيال أخيه خمارويه لما بلغه فى سجنه خبر تقديم أبيه له للحكم من بعده، حيث تحيل بكل حيلة من جهة الرقيق ذكورا وإناثا على الراحة منه سماً أو قتلاً إلا أنه فشل[3]، ويبدو أن إحجام الرقيق عن تنفيذ المهمة لا يفسره نوع من الورع ، وإنما خشية المجازفة إلى مهمة لصالح شخص مسلوب الحرية تنعدم من ورائه المنفعة، فضلا عن الخوف من فقد الحياة حال فشلهم فى أدائها، إذ إنه ما إن لاحت المصلحة أمامهم للتخلص من الشخص المستهدف حتى بادروا إلى اغتياله بعد ذلك ، فقد أجمعت المصادر[4] -رغم

---

(1) ابن سعيد:المصدر السابق، ص 141.

(2)المصدر السابق، ص 122.

(3)المصدر السابق، ص 141.

(4) انظر مثلا الكندى: المصدر السابق، ص 264 الذى أورد أسماء بعضهم مثل: طاهر ولؤلؤ وناشى وسابور ومماقط ونظيف، الطبرى: المصدر السابق، ج5، ص 612، ابن سعيد :المصدر السابق، ص ص 139-140، ابن عساكر:المصدر السابق، ج17، ص 49 والذى أورد الأسماء ذاتها، ابن الأثير:المصدر السابق، ج6، ص383، ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص72، ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص249، ابن خلدون: العبر، ج4، ص400، النويرى: المصدر السابق، ج 28، ص 31 .

اختلاف أصحابها فى الدافع [1] - إلى أن خمارويه لقى حتفه على يد مجموعة من خاصة خدمه، الذين زاد عددهم على العشرين خصيا، حيث تسللوا إلى حجرته ليلا وذبحوه على فراشه.

ومع انفراط عقد التعايش السلمى وسيادة الصراع بين أفراد البيت الطولونى عقب وفاة خمارويه، لم يدخر بعضهم وسعاً فى اللجوء إلى اغتيال خصومه باستخدام الرقيق ، فحين تمكن هارون بن خمارويه من التغلب على أخيه جيش دس له خدما فى سجنه فقتلوه غيلة [2]، وبذات الأسلوب لقى هارون حتفه، حيث سعى قواد الدولة إلى التخلص منه جراء سياسته العقيمة بمساعدة خواص رقيقه، الذين سنحت لهم الفرصة حين اعتلاه السكر وغط فى النوم فوثبوا عليه وذبحوه على فراشه [3].

هكذا تنهض الإشارات السابقة دليلا على دور رقيق السلطة الفاعل فى منظومة الحياة السياسية والتى مثلت عملية الاغتيال السياسى أهم مظاهره باعتبارها درعا واقيا فى مواجهة المعارضين والمناوئين، وما ترتب على ذلك من نتائج مباشرة فى إحداث تغييرات بالخريطة السياسية بإقصاء أمير وتنصيب آخر.

وإذا ما ارتبطت المهام السابقة بعموم الرقيق، فإنه يجب التمييز بينهم وبين صنف آخر من العلية منهم، أولئك الذين تمتعوا بمواهب سياسية فذة وقدرات إدارية مشهودة أهلتهم لتولى بعض المناصب الريادية مدنية كانت أم عسكرية فى إطار نظرة السلطة إليهم باعتبارهم أعوانا وعصبية اضطرت إلى الاستظهار بهم فى محيط شبه غريب عن أصولهم

---

(1) بين قائل إنهم راودهم الخوف من تهديده وإرهابه لهم لما بلغه انهم على علاقة مشبوهة بجواريه، فسارعوا إلى التآمر عليه ولم ينصتوا إلى نصيحة أحدهم بالعدول عن قتله، لاستيقانهم من مصيرهم المحتوم إن لم يتخلصوا منه، وقائل إنهم استقبحوا ما كان يمارسه معهم من اللواط ، و اشتاطوا غضبا حين قتل أحدهم قتلة شنيعة حين أبى أن يتلوط به على مرأى منهم فسارعوا إلى قتله بعد استشارة بعض الفقهاء فى حكمه.

(2)ابن الداية:المكافاة، ص183، ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص 344.

(3)أبو المحاسن: المصدر السابق ج 3، ص ص 109، 110، واستمرارا للظاهرة كان جريان العادة باغتيال المستهدف عند نومه وراء سيطرة القلق على الإخشيد من خواص خدمه، فكان يتندب ألفا من غلمانه لحراسته ليلا، ثم لا يثق بالجميع فيلجأ إلى التنكر للنوم فى خيام الفراشين ، انظر ابن سعيد: المصدر السابق، ص 256.

العرقية ، وهو ما عبر عنه ابن خلدون [1] حين تحدث عن اضطرار صاحب الدولة إلى الاستظهار بالرقيق والموالى والمصطنعين واستخلاصهم وتقليدهم " **جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية...**".وهو ما ينسحب على رقيق الطولونيين الذين تمكن بعضهم من تقلد بعض المناصب القيادية والمراكز الرفيعة والتسرب إلى الوظائف الهامة متوسطة كانت أم صغيرة نتيجة حنكتهم السياسية والإدارية والعسكرية، فضلا عما حازوه من ثقة كبيرة عند أفراد السلطة.

ففى نوع من المشاركة السياسية الفاعلة أقدم ابن طولون على تقليد خواص مماليكه حكم المدن والأقاليم والكور كنوع من المكافأة لتفانيهم فى خدمته، فقد ولى غلامه لؤلؤ على حكم حمص وقنسرين وديار مضر [2]، ومولاه طغج على دمشق [3]، وبعده تولاها غلامه صافى [4]، ويازمان الخادم على حكم طرسوس [5]، وغلامه فهم على مدينة اهناس [6]، كما أنه كافأ غلاما له بتعيينه حاكما على برقة حين تمكن من إخماد ثورة أهلها عليه [7]، ولا نمتلك من الإشارات ما يفصح عن استعمال الرقيق فى عهد خلفائه باستثناء ما ورد عن غلام يدعى فائق ولاّه خمارويه حكم ايلة [8]، وغلاما آخر يدعى بدر ولاّه هارون بن خمارويه حكم الشام [9].

وفضلا عن تولى حكم الولايات، لم تدخر السلطة وسعا فى الاستفادة من خدمات خواص رقيقها وتقليدهم بعضا من المناصب والوظائف الهامة، يأتى على رأسها منصب الوزارة ، حيث يخيل إلينا أن المكانة الكبيرة التى احتلها نسيم الخادم عند ابن طولون قد ارتفعت به إلى هذا المنصب وإن لم تصرح بذلك المصادر، ونعنى بذلك حتما وزارة التنفيذ

---

(1) المقدمة، ص 18.

(2) الطبرى: المصدر السابق، ج5، ص 561، ابن العديم:المصدر السابق، ج2، ص 127، ابن خلدون: العبر ، ج3، ص 413، النويرى: المصدر السابق، ج28، ص 15، *Zaky M.Hassan:op.cit,p.77*

(3) البلوى: المصدر السابق، ص244، ابن خلدون: العبر، ج3، ص 438.

(4) ابن العديم: المصدر السابق، ج 8، ص3555.

(5) الكندى:المصدر السابق، ص 251.

(6) ابن الداية:المكافاة ص62 ، سيدة الكاشف: المرجع السابق، ص 168 .

(7) ابن خلدون: العبر، ج3، ص393.

(8) الحميري: كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2 بيروت، ص 198.

(9) الذهبى: السير، ج14، ص18.

والتى كانت أضعف شأنا من وزارة التفويض- والتى لم تكن تتناسب وطبيعة ذلك الأمير- حيث لم تتعد سلطة صاحبها الوساطة بينه وبين الرعية وتنفيذ ما يصدر عنه من أوامر، وعرض ما يرد من الأمور عليه [1].

إن إشارات عدة تؤكد على تولى هذا المملوك أعلى منصب تنفيذى فى منظومة السلطة، فقد بلغ من الأمير منزلة رفيعة حتى " **كان أخص الناس به** " [2] مطلعا على أدق تفاصيل أموره التى نقلها عنه الرواة[3]، ولا غرو، فقد كان كثير المصاحبة له داخل البلاط وخارجه[4]، ممثلا دور الوسيط الأكبر فى قضاء حوائج الرعية عنده[5]، وسفيرا بينه وبين القضاة والفقهاء والأولياء [6]، وعليه، كان الأمير شديد الثقة به كثير الاعتماد عليه فى تدبير أمور الدولة التى انفرد بها دون غيره من رجالات البلاط، مثل الإشراف على السجون وتتبع أحوال المسجونين والإفراج عمن تثبت براءته[7]، والإشراف على خزائن الدولة بما فيها خزينة سرية مملوءة بالدنانير لا يعرف طريقها أحد سواه والأمير[8]، والإشراف على مهمة كشف الكنوز وإخراجها على يد المطالبية[9]، فضلا عن الإشراف على قراءة المكاتبات والمراسلات التى ترد إلى الأمير أو تصدر منه، وتولى تنفيذ ما بها من أوامر ومهام [10]. كما كان نسيم مستودع أسرار الأمير وصاحب مشورته حيث أشارت الروايات إلى اعتياد الأمير إخباره بأسرار الدولة وما دق من تفاصيل الحكم، كما أنه اعتاد

(1) انظر تفصيلا لذلك عند الماوردى: الأحكام السلطانية، مكتبة الحلبى، مصر، ط3 1973 ص ص 25، 26. حيث ذكر أن "حكمها أضعف وشروطها أقل لأن النظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره ....ليس له أن ينفرد بولاية ولا تقليد".

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 76.

(3) يكفى أن نشير إلى ابن الداية الذى اعتمد عليه فى تسجيل كثير من الأخبار التى تخص سيرة ابن طولون، انظر بهذا الخصوص ابن سعيد: ص ص 84، 94، 98، 99، 103، 104، 123، 126، 129، 130، 131، وكذا كتاب المكافأة ص ص 114، 117.

(4) البلوى: المصدر السابق، ص168، ابن سعيد: المصدر السابق، ص 99.

(5) البلوى: المصدر السابق، ص 234.

(6) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 130.

(7) البلوى: المصدر السابق، ص 234

(8) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 104.

(9) المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص 79.

(10) ابن سعيد: المصدر السابق، ص ص 126، 127.

الجلوس معه فى قبة الهواء واستشارته فى كثير من أمور الدولة وأحوال الرعية وأنه كان يأخذ بآرائه فى أحوال عدة[1].

وفضلا عن الوزارة كمنصب رفيع المستوى ربما وصل إليه الرقيق استنادا إلى تلك الإشارات غير المباشرة، فإن نصوصا صريحة تؤكد على تولى الرقيق منصبا آخر يمتاز بعلو الرتبة وسمو الرياسة والرفعة ونقصد به منصب **الحجابة**، والذى نظن أنه بدا بسيطا فى بداية الأمر ثم أخذ نفوذ صاحبه يزداد مع فترات الضعف والاضطراب[2].فتناسبا مع طبيعته فى الانفراد بالسلطة ووصد الأبواب أمام نفوذ أتباعه ووعياً منه لخطورة تنامى سلطة أحدهم، اختص مؤسس الدولة نفسه بعدد من الحجاب من العبيد الذين يؤمن جانبهم ويدينون له بالطاعة والولاء، وحرص ألا تتعدى سلطاتهم حجبه عن العامة وتنظيم عملية الدخول والخروج من أبواب قصره، والفصل أحيانا فى القضايا التى تنشأ بين الجند[3]، ممن عرف الواحد منهم فى المصادر باسم "**حاجب الباب**" [4]، وهو ما تؤكد عليه المصادر[5] حين تتحدث عن حاجبين من العبيد السودان يدعى أحدهما "درمون" والآخر "دعناج" اختص كل منهما بباب من أبواب القصر نسبا إليهما، حيث كلفا -مع غيرهما من الحجاب- من قبل الأمير بمهمة فتح هذه الأبواب حسب ترتيبات خاصة وفى أيام معلومة لا سيما أيام الأعياد وعروض الجيش وتوزيع الصدقات على الفقراء. ونظراً لما تمتع به الحاجب الأول من قوة البدن وهيبة المنظر وتعالى الحنكة خصه ابن طولون بمهمة النظر فى جنايات العبيد السودان من الرجالة والفصل فيما ينشب بينهم من خلافات.وترد إشارة أخرى عن حاجب من حجاب الأبواب من العبيد قابله الفقيه أبو الحسن بن حماد حين استدعاه ابن طولون إلى قصره حيث اصطحبه الحاجب إلى بلاط الأمير وحمل إليه فى نهاية اللقاء صرة مليئة بالدنانير[6].

---

(1) المصدر السابق، ص 76، **البلوى**: المصدر السابق، ص ص 199-200 .

(2) *Zaky M.Hassan:op.cit,p.193.*

(3) **المقريزى**: المصدر السابق، ج3، ص 382.

(4) **ابن الجوزى**: المنتظم، ج9، ص ص 48، 112، 150، 184، ج10، ص50، **أبو المحاسن**: المصدر السابق، ج6، ص 82.

(5) انظر **البلوى**:المصدر السابق، ص ص 54، 55، 197، **أبو المحاسن** :المصدر السابق، ج3، ص ص 16، 17، **المقريزى**:المصدر السابق، ج2، ص 123.

(6) **ابن اياس**: المصدر السابق، ج1، ص 166.

ولم تقتصر مهمة هذه النوعية من الحجاب على ذلك، إذ ترد إشارة تومئ إلى دور الحاجب فى تأمين طريق الأمير عند خروجه للمسجد وتهيئة مكان جلوسه سواء للصلاة أو حضور مجالس العلم[1].

أما عن وظيفة الحاجب الأكبر أو ما عرفت فى المصادر باسم " **حاجب الحجاب**"[2]، فيبدو أنها لم يكن لها وجود فى عهد ابن طولون، اللهم إلا إذا اعتبرنا سوارا الحاجب قد تولى تلك الوظيفة لكن بسلطات محدودة، حيث تشير المصادر إلى تبوئه لمنصب كبير الحجاب فعرف بحاجب الأمير[3]، ولم تحفظ المصادر من سلطاته سوى إشرافه على تنفيذ أوامر ابن طولون لا سيما ما يتعلق بمصادرة الأملاك، حيث وصف بأنه" **كان خادما جريئا صفيق الوجه قاس القلب**" [4]، فقد كلفه الأمير بمهمة مصادرة أموال وكيله على ابن المفضل، فاحتوى سوار على كل ما وجده بحيازته من الأموال والضياع والرقيق وباع منها ما أمره الأمير ببيعه[5]، كما انتدبه الأمير لهدم دار الفقيه المزنى حين وجد عليه فهدمها وصادر ما فيها[6]، وحين نسى خطيب الجمعة ذات مرة الدعاء لابن طولون أمره بتأديبه وضربه خمسمائة سوط[7].

غير أن سلطة الحاجب الأكبر قد أخذت فى الاتساع إلى حد كبير مع ضعف الأمراء، وتتوفر بخصوص ذلك رواية تتحدث عن طغيان نفوذ حاجب رومى للأمير هارون بن خمارويه يدعى سمجور بصورة أقلقت كبار القواد الذين راحوا ينبهون الأمير إلى خطورة ذلك الأمر، فما كان منه إلا أن أمر بالقبض عليه واعتقاله فكان ذلك آخر العهد به[8].

ويندرج تحت الحجابة منصب آخر اختص به إناث الرقيق أساسا عرفت صاحبته باسم "**القهرمانة**"، والتى انصبت مهمتها فى ترتيب أحوال البلاط وإدارة شئون وتوزيع

---

(1) الذهبى : السير، ج 12، ص 600.
(2) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج 3، ص 272.
(3) ابن حمدون: المصدر السابق، ج3 ، ص201.
(4)نفسه، ص143.
(5) ابن سعيد:المصدر السابق، ص106.
(6) ابن حمدون:المصدر السابق، ج3 ، ص201.
(7) البلوى: المصدر السابق، ص 159.
(8) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 103.

العطاء والكسوة والنفقة عليهن [1]، ويبدو أن نعت جارية ابن طولون قد تولت هذا المنصب حيث أشارت المصادر إلى إشرافها على شئون الجوارى والحظايا وتهيئتهن للأمير [2]، كما تفصح إشارات أخرى عن وجود المنصب فى عهد خليفته، حيث ذكر الجصاص أنه دخل دهليز حريم خمارويه فخرجت إليه " **قهرمانة لهم**"[3]، وأحاط بابنته قطر الندى عند زواجها طائفة من " **قهرماناتها وجواريها**"[4].

وبجانب الوزارة والحجابة وما يرتبط بهما من وظائف، وصل الرقيق أيضا إلى منصب هام هو **كاتب السر**[5]، حيث اختار ابن طولون غلاما من أوثق وأقرب غلمانه كان خصيصا به وجعله كاتب سره[6]، إذ كلفه بالتخفى عن عيون حاضريه وتسجيل ما يدور بينه وبينهم من حوار دون إسقاط شيء منه" **فإذا خلا عرض عليه الغلام مجملا بما جرى يوما يوما وليلة ليلة** " [7]. ولم يقتصر دوره على ذلك وإنما اختصه الأمير أيضا بتسجيل المكاتبات السرية التى لا يطمئن فى كتابتها إلى كتابه العاديين، وهو ما يفهم من رد الأمير على استفسار كاتبه ابن عبدكان عن ورود أجوبة مبهمة لا تتناسب مع محتوى ما يكتبه له من رسائل، فأخبره بأن ذلك من الخطابات شديدة السرية التى لا يطلع عليها أحد سوى كاتب سره[8]. ونظرا لخطورة المنصب لم يدخر الأمير وسعا فى تنبيه غلامه إلى خطورة دوره محذرا إياه من مغبة الإهمال ومشددا عليه بتحرى الدقة واليقظة والمراعاة[9].

---

(1) الجزرى: النهاية فى غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى: المكتبة العلمية ، بيروت، 1979، ج4، ص 213، ابن منظور:لسان العرب، دار صادر بيروت، (د.ت)، ج12، ص 496، ابن خلدون: المقدمة، ص241.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، ص93.

(3) التنوخى:نشوار المحاضرة، ج2، ص312، ابن الجوزى:المنتظم، ج6، ص211، الذهبى: السير، ج 14، ص 469، ابن كثير: ج11، ص 156.

(4) الحلى: المصدر السابق، ص 345.

(5) حيث نقل البلوى عن نسيم الخادم ما نصه" **ما خلت دار مولاى قط من كاتب خفى الشخص موثق عنده يعرف بكاتب السر يرتصد فى سائر يومه مناظرته لمن ناظره**" المصدر السابق، ص 210، و عن أهمية هذا المنصب وشروط اختيار صاحبه. انظر سيدة الكاشف:المرجع السابق، ص 179.

(6) البلوى:المصدر السابق، ص 99، *Zaky M.Hassan :op.cit,p.209* .

(7) المصدر السابق، ص ص 99، 100.

(8) المصدر السابق، ص112.

(9) المصدر السابق، ص 112.

وفضلا عن كاتب السر ، تفصح المصادر عن تولى الرقيق منصب الكاتب الذى يعد أحد الصنائع الرفيعة التى تطلبت اتصاف صاحبها بمميزات كثيرة يصعب الإحاطة بها[1] ، ويشير القلقشندى[2] فى هذا الصدد إلى غلام كاتب يدعى طبطب بلغ درجة كبيرة من الجودة والإحكام فى التحرير حتى كان أهل بغداد يحسدون أهل مصر ويقولون إنه ليس لخليفة بغداد كاتب مثله.

وارتباطا بوظيفة الكاتب تسلل الرقيق إلى وظيفة شديدة الارتباط بها عرف شاغلها بصاحب الدواة، كانت له المشاركة فى تهيئة أدوات الكتابة ومراجعة الرسائل وإعدادها للمطالعة وترتيبها، وأحيانا حملها إلى المساجد حالة تضمينها أوامر يقرأها الخطباء على المنابر[3].

ووصل الرقيق إلى منصب غاية فى الأهمية ونقصد به عامل البريد، إذ ترد إشارات عن أسماء بعض الرقيق الذين تولوا ذلك المنصب، مثل حسين الخادم الذى وصفته الروايات برجاحة عقله وحسن منطقه[4] وشقير الخادم مملوك السيدة قبيحة أم المعتز[5] .وكان صاحب المنصب فى بداية أمر الدولة على اتصال مباشر بحاضرة الخلافة حيث تركزت مهامه فى التجسس على الوالى ومراقبة أعماله وإرسال تقارير بذلك[6]، يفهم ذلك من الرواية التى تتحدث عن الكتاب الذى أرسله شقير إلى دار الخلافة يحذر فيه المسئولين من ازدياد نفوذ ابن طولون ، وهو الكتاب الذى وقع فى يد الأخير فسارع بعزل شقير، لا سيما بعدما ذهب سلطان سيدته بمصرع ولدها المعتز[7]. وتمشيا مع طبعته الاستقلالية أخضع الأمير المنصب لسلطته المباشرة فصار بمثابة جهاز استعلامات سرية

(1) انظر بخصوص ذلك ابن خلدون:المقدمة ص ص 246-250، القلقشندى:صبح الأعشى، ج1، ص ص 39-40.

(2) صبح الأعشى، ج 3، ص18.

(3) البلوى:المصدر السابق، ص 147.

(4) المصدر السابق، ص 143.

(5) اليعقوبى:المصدر السابق، ج2، ص509، ابن سعيد:المصدر السابق، ص 77، ابن خلدون:العبر، ج 4، ص386والذى حرف الاسم فى شكل " سفير".

(6) *Zaky M.Hassan :op.cit,p.44.*

(7) البلوى: ص ص 58-59.

أشرف عليه طائفة من خواص رقيقه المخلصين الذين تفانوا فى التجسس لصالحه ونجحوا فى الوقت ذاته فى إحباط المؤامرات والقبض على المتآمرين فعرفوا بـ"**أصحاب الأخبار**"[1]، ولا أدل على ارتفاع مكانتهم من أن سلطتهم فاقت سلطة الحجاب وكبار القادة حتى إن نسيم الخادم كان يخشاهم وكثيراً ما كان يتقى شرهم بالمصانعة والملاينة[2]، وهو ما ينسحب على الواسطى كاتب ابن طولون الذى أبدى حيرته من ارتفاع مكانة أحد غلمانه عند الأمير لأنه كان صاحب خبر، حتى انه كان يخشى على نفسه منه، وصرح بذلك إلى أحد أصدقائه مخبرا إياه أنه شاهد غلامه هذا ببلاط الأمير ذات مرة، حيث استدناه "**فلم يزالا فى سرار متصل أكثر من ساعة ثم خرج من عنده متبسما لما لقيه به من محبوبه، فما ظنك بمن أبر غلمانه عنده صاحب خبر**"[3].

كما وصل الرقيق إلى منصب **صاحب الطراز**[4]، حيث أشارت المصادر[5] إلى خادم كان يدعى شقير كان يتقلد الطراز لأحمد بن طولون .

ونظرا لأهمية منصب **صاحب الشرطة** ونفوذه الكبير، لم يتحرج الطولونيون فى إسناده أحيانا إلى الأكفاء من غلمانهم، فحين قدم ابن طولون مصر أقر فى الشرطة بولغيا الذى كان صاحب الشرطة فى عهد سلفه ازجور[6]، ثم ما لبث أن عزله وعين مكانه غلامه فليح الذى ضبط البلاد ضبطا مشهودا[7]، وإن ظلت سلطته مقيدة بسلطة الأمير، حيث إنه لم يتمكن من إطلاق سراح سجين ثبتت براءته وشهد الشهود بصلاحه وورعه إلا بعدما استشار فى أمره ابن طولون فأذن له فى ذلك[8]، كما تحفظ لنا المصادر اسم غلام يدعى وصيف تولى الشرطة أواخر عصر الدولة الطولونية[9].

---

(1)المصدر السابق، ص 224.

(2)المصدر السابق، نفس الصفحة.

(3)المصدر السابق، ص 115.

(4) انظر أهمية هذا المنصب عند **سيدة الكاشف**: المرجع السابق، ص 186.

(5) **ابن الداية**: المكافأة، ، ص 114، **ابن حمدون**:المصدر السابق، ج9، ص306.

(6)**سيدة الكاشف**:المرجع السابق، ص 164.

(7)**ابن حمدون**: المصدر السابق، ج9 ، ص305.

(8)نفسه.

(9) **ابن حجر**: رفع الإصر، ص347.

ويندرج تحت ذلك المنصب مهمة الإشراف على السجون ومراقبة أحوال المسجونين، فقد أورد البلوى[1] اسم غلام يدعى يعقوب أوكل إليه العجيفى- صاحب الشرطة فى عهد ابن طولون- مهمة الإشراف على سجن شرطة أسفل الأرض .كما ترد إشارة عن دور الرقيق فى حراسة هذه السجون، فقد كتب يعقوب بن إسحاق رسالة إلى الواسطى- من سجنه الذى حبسه فيه ابن طولون – ضمنها أبياتا من الشعر جاء فيها :

ودون عرب وعجم فى مجالسهم موكلين بنا ترك وسودان

إذا تنحنحت قالوا طار صاحبناكأن لى فى حبسى جناحان[2]

تسرب الرقيق أيضا إلى تدبير الشئون المالية والإشراف على بعض الخزانات وهو ما تتطلب نوعا من الأمانة والإخلاص، وتشير المصادر هنا إلى منصب غاية فى الحساسية عرف صاحبه بخازن المال تولاه بعض الثقات من الرقيق لا سيما الروم الذين أكد أهل الدراية على صلاحيتهم لخزن المال لما عرفوا به من الوفاء والأمانة والمحافظة والضبط[3]، كان منهم خادم نصرانى يدعى ندوسة تولى وظيفة الخازن بقصر ابن طولون[4] ووصف بأنه كان " **ثقة عنده فى جميع أحواله فى داره**"[5]، وسليم الخادم الذى عاين ابن طولون أمانته فاصطفاه خازنا لأمواله[6] وخير الخادم الذى وصف بأنه كان " **ثقة مأمونا دينا**"[7]، بلغت ثقة ابن طولون به أن وضع تحت يديه ثروته جميعها التى قدرت بمليون درهم، ولم يكتف بذلك بل ضم إليه أموال دولته التى قدرت بمليون وسبعمائة ألف دينار[8]، حيث ظلت عنده حتى وفاة الأمير فأقره على منصبه خليفته خمارويه تنفيذا

---

(1) المصدر السابق، ص220.

(2) ابن الداية: المكافأة، ، ص 114، البلوى:المصدر السابق، ص 165.

(3)مجهول : شراء الرقيق ، ورقة 37، ابن بطلان:المصدر السابق، ص377.

(4) ابن سعيد:المصدر السابق، ص 103.

(5)البلوى:المصدر السابق، ص289.

(6) ابن حمدون: المصدر السابق، ج2 ، ص354، ج3، ص202.

(7)البلوى: ص 340.

(8)المصدر السابق، نفس الصفحة.

لوصية والده[1]، كما يذكر أبو المحاسن[2]اسم غلام يدعى فائق الرومى تولى منصب الخازن فى عهد هارون بن خمارويه .

وفى الإطار ذاته نضع منصب متولى الصدقة الذى ترد بخصوصه عدة إشارات، تتعلق الأولى بغلام يدعى سليم الخادم الذى عينه ابن طولون متوليا لصدقاته، وجعل تحت تصرفه مبلغا شهريا قدر بألف دينار وأمره بإنفاقها على الفقراء والمساكين ، وألا يرد يد سائل مهما كانت وضعيته[3]، وتخص الثانية مملوكا تولى ذلك المنصب أواخر عهد ابن طولون يدعى ابن قراطاغان ، كان يرأس مجموعة من الحمالين الذين يحملون له الصدقات النقدية والعينية إلى مستحقيها من المستورين والمحتاجين[4]، وفضلا عن هذين المملوكين يشير ابن الداية[5] إلى مملوك يدعى تكين كان متوليا للمعونة أواخر عصر الدولة وهو الذى اغتيل على يدى جماعة كانوا على صلة بابن القائد ابن بدر الجوانى فصلبوا جميعا ، مما يؤكد على ارتفاع مكانته عند السلطة.

ولم تكن مهمة جمع الجبايات فى عصر الطولونيين حكرا على الأحرار، حيث ترد رواية تتحدث عن غلام يدعى فتح كلفه خمارويه مهمة تحصيل الخراج والجبايات المقررة على نواحى دولته[6].

هكذا تؤكد تلك المعطيات على دور الرقيق فى إدارة الدولة الطولونية التى لم تدخر وسعا فى إسنادهم وظائف إدارية رفيعة كالحجابة والكتابة والبريد والشرطة ...، وتعيينهم مشرفين على بعض الدواوين والخزانات وشئون المال، بشكل لا يمكن معه تجاوز الحقيقة إذا تم اعتبارهم دعامة أساسية فى تسيير دواليب الحكم داخل مصر الطولونية.

---

(1)نفسه.

(2)المصدر السابق، ج3، ص146.

(3)ابن حمدون: المصدر السابق، ج2، ص355، الأبشيهى: المصدر السابق، ج1، ص 363، العينى:المصدر السابق، حوادث 270هـ، ورقة459.

(4)البلوى:المصدر السابق، ص 351.

(5)شرح كتاب الثمرة، ورقة 42.

(6)ابن خلدون: العبر، ج3، ص 419.

بيد أن المجال العسكرى يعد بحق أبرز الميادين التى تم توظيف الرقيق فيها ، وهو ما يتماشى مع ما تم الإشارة إليه آنفا من أنهم كانوا العصبية التى اعتمدت عليها السلطة فى بقاء دولتها، ومن جانبهم لم يدخر هؤلاء الرقيق وسعاً فى سبيل الحفاظ على كيان تلك السلطة والتفانى فى سبيل بسط نفوذها وتأكيد وجودها وصنع أمجادها والذب عن حياضها بمواجهة الأعداء وقمع المناوئين، ولعل هذا التفانى كان وراء الانتقام الشديد والتنكيل العنيف الذى تعرض له هؤلاء الرقيق من قبل أعداء الطولونيين عندما سقطت دولتهم، وهو ما تفصح عنه جليا رواية أبى المحاسن [1] التى تتحدث عن اتجاه محمد بن سليمان إلى قطائع السودان للقضاء عليهم قبل أن يقبض على آخر أمراء هذه الدولة، إيمانا منه بأنه لا سبيل إلى إسقاط الدولة قبل التخلص من قوتها الفاعلة ممثلة فى جنودها المخلصين واستئصال شأفتهم باعتبارهم نصيرها الأكبر، حيث أمر بإحراق قطائعهم، وقبض على جموعهم وذبح منهم عشرات الآلاف كما تذبح الشياه .

ومهما يكن من أمر، فإن توظيف الرقيق وبأعداد غفيرة فى المؤسسة العسكرية يظل علامة بارزة فى تاريخ الدولة الطولونية [2] ، فما إن وطئت أقدام ابن طولون أرض مصر حتى سارع إلى حشد الرقيق لأغراض حربية فى الأساس، حيث بدا نواة مؤسسته الحربية بالغلمان الأشداء من مماليك الغور الذين نجح فى اقتناصهم من عدوه اللدود ابن المدبر، واتخذهم حرسا خاصاً له ، بعدها استغل فرصة استنجاد الخليفة المعتمد به للقضاء على ثورة عيسى بن الشيخ بفلسطين ووضع أموال الخراج بين يديه ، وسارع فى تأسيس جيش قوى مستقل يدين له بالطاعة والولاء ويعينه على تحقيق مآربه ، فلم يجد أفضل من العبيد المجلوبين **"فأثبت جيشا كثيفا وابتاع من الحمران والسودان خلقا كثيرا"** [3] ، بلغت عدتهم اثنا عشر ألف عبد أسود [4] وسبعة آلاف مملوك رومى [5] ، إلا أنه لم يقنع بهذا العدد وأثر الزيادة فيه، ففرض على الرعية أشكالا من الجبايات بهدف الاستكثار من العبيد

---

(1) المصدر السابق، ج 3، ص 137.

(2) *Zaky M.Hassan:op.cit,p167, Lewis (B): Race and color in Islam, London, 1971,69.*

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 80، ابن عساكر: المصدر السابق، ج47، ص312، المقريزى: المصدر السابق، ، ج2، ص122

(4) القلقشندى: صبح الأعشى، ج1، ص 247.

(5) ابن الجوزى: المنتظم، ج5، ص72، ابن إياس: المصدر السابق، ج1، ص169 .

العسكريين لا سيما السودان منهم[1]، الذين بلغ عددهم أربعة وعشرين ألف عبد[2] واستفادة من التجربة التى عاشها فى حاضرة الخلافة فراح ينوع أجناس عبيده المحاربين خشية أن يؤدى غلبة عنصر واحد إلى الاستبداد بالأمر دونه، فألحق بجيشه عنصرا من الديالمة إلى جانب الروم والسودان[3]. ويبدو أن أعداد هؤلاء العبيد والمماليك قد أخذت فى الازدياد بصورة مطردة، نتيجة حشد آلاف أخرى منهم بعدما تيسر المال للحصول عليهم عندما ظفر ابن طولون بالكنز المعروف فى صحراء الأهرامات، وهو ما تعبر عنه رواية ابن إياس[4] - التى نقلها عن ابن وصيف- حيث ذكر أنه" **لما ظفر بهذا الكنز اتسع حاله وعظم أمره فاستكثر من مشترى المماليك الديالمة حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألفا وبالغ فى مشترى الزنج حتى بلغت عدتهم نحو أربعين ألفا**"، وكانت تلك الزيادة الكبيرة وراء بناء مدينة القطائع، إذ لما ضاقت بهم أفنية دار الإمارة ، اضطر ابن طولون إلى بناء مدينة جديدة بغرض استيعاب تلك الأعداد فضلا عن تنظيمها وترتيبها من الناحية النوعية، يقول أبو المحاسن[5] -نقلا عن القضاعى-: "**وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع كثرة مماليكه وعبيده فضاقت دار الإمارة عليه ..ثم بنيت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها .. . للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة.. ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم**" .

وكانت لابن طولون سياسة مشهودة تهدف إلى تحقيق أقصى استفادة قتالية من هذه العناصر العسكرية، كان منها اصطفاء مجموعة من خيرة المماليك واتخاذهم قادة لفرق الجيش، تذكر المصادر أسماء بعضهم، من أمثال: بدر

---

(1) الكندى: المصدر السابق، ص 241.

(2) ابن إياس: المصدر السابق، ج1، ص169 .

(3) القلقشندى: مآثر الإنافة، ج1، ص247.

(4) المصدر السابق، ج1، ص 162، ثم تابع ابن الزبير:المصدر السابق، ص227، العينى: المصدر السابق، حوادث 270هـ، ورقة460.

(5) المصدر السابق، ج3، ص15، ثم تابع البلوى: المصدر السابق، ص 53، ابن سعيد:المصدر السابق، ص83، المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص119.

الكبير[1] وراغب الخادم[2] وأيمن الأسود[3] ولؤلؤ[4] وبصير وانعج وكنجورا[5] وشفيع اللؤلؤى[6] وفائق الخادم[7] وغيرهم من قواد الجيش ووجوه المماليك الذين لم يدخر الأمراء جهدا فى سبيل إرضائهم وتوفير أسباب الراحة لهم، فقد كان ابن طولون مشهورا بكثرة إغداقه الأموال والهدايا والمنح والاعطيات عليهم[8] حتى إنه كان يدفع لهم أحيانا راتب سنة منحة خالصة لهم[9]، بل إنه كان يؤثرهم بعض الأحيان على نفسه، وهو ما تكشف عنه رواية البلوى[10] التى نقلها عن نعت أم ولد الأمير والتى شوقته إلى جوار جميلات أهدين إليه، فلما عاين حسنهن دفعهن واحدة بعد أخرى إلى خادم له وقال له: **" امض بها إلى غلامى فلان ...ثم لم يزل يفعل ذلك بواحدة واحدة حتى استوفى عدتهن"**، الأمر الذى زاد فى إخلاصهم له وتفانيهم فى خدمته حتى إنه قد **"عظمت منته عندهم وكثر شكرهم"**[11].

وحرصاً على وحدة الجند وعدم اختلافهم وكبح جماح الفتنة بينهم بالشدة والعنف، عين ابن طولون قاضيا أسود عرف بقسوته يدعى درمون وقلده مهمة النظر فى جنايات الغلمان السودان[12] وأخضعهم لتدريبات شاقة غالبا ما تنتهى بإقامة عرض عسكرى أمام القصر يتابع فيه الأمير من أحد رفاته حسن أدائهم وعلو كفاءتهم فى يوم معروف بيوم العرض " **فيرى اضطراب الغلمان فى تأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم**"[13].

---

(1) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص147 .
(2) ابن عساكر :المصدر السابق، ج8، ص3553.
(3) البلوى:المصدر السابق، ص101، ابن سعيد:المصدر السابق، ص ص 118، 121 .
(4) ابن كثير:المصدر السابق، ج11، ص39، ابن الأثير:المصدر السابق، ج6، ص 255، ابن خلدون: العبر، ج3، ص409، ج4، ص 393 .
(5) البلوى:المصدر السابق، ص 266.
(6) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 147 .
(7) الكندى:المصدر السابق، ص ص 261، 265، 270، ابن حمدون:المصدر السابق، ج2، ص226.
(8) حسن أحمد محمود:المرجع السابق، ص 48 .
(9) البلوى:المصدر السابق، ص 336 .
(10) المصدر السابق، ص ص 110، 111.
(11) المصدر السابق، ص 337 .
(12) المصدر السابق، ص 54
(13) المصدر السابق، ص ص 55، 56.

لذا كان من الطبيعى أن ترتفع الاستفادة من خدمات الرقيق الحربية سواء عن طريق اتخاذ بعضهم حرسا خاصا للأمراء وتسخير آخرين فى مواجهات عسكرية متعددة الجوانب.

فقد أحاط ابن طولون نفسه فى بداية حكمه بمائة غلام من مولدى الغور وجعلهم حرسه الخاص يقفون فى حافتى مجلسه ويسيرون بين يديه إذا ركب فكان له بهم هيبة عظيمة ، لأنهم تميزوا بـ " **خلق حسن وطول أجسام وبأس يعرفون به شديد ...وبأيديهم مقارع تامة غلاظ على كل طرف من أطرافها فضة مقمعة بها**"[1] ، ويبدو أن بعضهم كانوا فى صحبته خلال رحلة الصيد التى خرج إليها بصحبة الماذرائى، حيث أحاط بهم " **سبعة عشر غلاما ...[بـ]مناطقهم وسيوفهم** "[2].غير أن إشارات أخرى يمكن من خلالها التكهن باستبدال هؤلاء الغلمان بحرس آخر من العنصر الأسود ربما لتفوقهم من ناحية القوة والإخلاص ، فقد اشتكى المصلون إلى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة لكثرة من يحضر الصلاة معه من حرسه الأسود[3]، كما أحاط هؤلاء السودان بالأمير خلال تفقده لأحوال السوق وامتدت أيدى بعضهم بالعبث فى أملاك بعض البائعين فأمر بتأديبهم[4] وحسب إشارة ثالثة خرج الأمير ذات يوم للتنزه على شاطئ النيل وبصحبته الحرس الأسود[5].

ولم يشذ خمارويه عن أبيه فى إحاطة نفسه بحرس خاص من العبيد والمماليك سموا بفرقة المختارة[6]، أسرف فى الاعتناء بمظهرهم والبلوغ بهم درجة رفيعة من الفخامة والأبهة، حيث " **ألبسهم الأقبية من الحرير والديباج وصاغ لهم المناطق وقلدهم بالسيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم إذا مشوا بين يديه ..ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والخوذ التى على رؤوسهم من تحت العمائم زى بهيج للغاية**"[7].

---

(1)المصدر السابق، ص 44.

(2)التنوخى: المستجاد ، ص 134 .

(3)الكندى: المصدر السابق، ص 245، المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص 130.

(4)ابن العديم: المصدر السابق، ج 2، ص 832.

(5) البلوى:المصدر السابق، ص193 ابن سعيد:المصدر السابق، ص 99، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص150 .

(6).*Lewis (B): op.*cit , P.70.

(7) أبو المحاسن:المصدر السابق، ج3، ص 59.

وفضلا عن الحرس الخاص، لم يدخر الطولونيين وسعا فى تجنيد رقيقهم فى المواجهات الحربية التى خاضوا غمارها، فقد شارك الرقيق فى الحروب الجهادية، حيث تشير الروايات إلى دور قائدين مشهورين هما لؤلؤ غلام ابن طولون وراغب غلام الموفق، اللذين كان لهما دور واضح فى الجهاد ضد البيزنطيين[1] ، ولم يقتصر ذلك الدور على القيادة وإنما انسحب إلى الجنود ، حيث تتحدث المصادر عن أنواع الرقيق المتعددة ضمن العناصر التى تكون منها جيش الطولونيين المجاهد على الثغور البيزنطية[2] .

وحضر الرقيق حرب الطواحين المشهورة عام 272هـ/ 885م، التى دارت بين خمارويه وعدوه ابن الموفق، حيث أرجعت الروايات سبب هزيمة خمارويه فى أول المعركة إلى استعجاله ومقابلته لعدوه بمقدمة جيشه فقط، والذى ضم مجموعة من الرقيق والغلمان والأحداث[3] .

وترد إشارات عن مشاركة الرقيق فى قمع حركات الثورة والتمرد، فحين ثار أهل برقة على ابن طولون ووثبوا على أميرهم محمد بن فروخ أنفذ إليهم جيشا بقيادة غلامه لؤلؤ وأبى الأسود الغطريف، حيث قتل الثانى وتولى الأول مهمة التصدى للثوار، فتمكن من هزيمتهم، وقطع أيدى جماعة من رؤسائهم وصلب منهم طائفة، وعاد إلى سيده محملا بالأسرى والغنائم، فمَنّ عليه بالخلع والهدايا[4] .وشارك العبيد فى الجيش الذى خرج به ابن طولون للقضاء على يازمان الخادم الذى تمرد عليه، حيث تصدى يازمان للحصار الذى طال زمانه فى أوان شديد البرد والمطر، فتسبب ذلك فى موت كثير من غلمان ابن طولون وسودانه لأنهم ظلوا طول هذه المدة عراة[5] .

وبعيدا عن المجالين السياسى والعسكرى، وفى محاولة للبحث عن أدوار أخرى لرقيق السلطة، تتوالى بعض الإشارات للتأكيد على الدور الثقافى ولكن بشكل محتشم.

---

(1) ابن العديم: المصدر السابق، ج 8، ص 3553، ابن كثير : المصدر السابق، ج11، ص39.

(2) البلوى:المصدر السابق، ص 51، الطبرى: المصدر السابق، ج5، ص 580، ابن سعيد:المصدر السابق، ص150.

(3) النويرى: المصدر السابق، ج 28، ص 25.

(4) البلوى: المصدر السابق، ص ص 70-72، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص ص 255، 256، ابن خلدون : العبر، ج4، ص393.

(5) البلوى: المصدر السابق، ص 312، ابن سعيد: المصدر السابق، ص128.

لا شك أن تعدد أجناس هؤلاء الرقيق واختلاف البيئات التى وفدوا منها ، قد هيأت المجال لتأثيرهم فى الوسط الذى حلوا به وعلى رأسه البلاط، ويكفى الإشارة إلى تولى بعضهم مهمة تكوين أبناء الأمراء فكريا وأخلاقيا ونقل موروثهم الحضارى والتربوى إليهم، وتعليمهم فى مرحلة الطفولة، فقد وردت عند البلوى[1] إشارة عن خادم يدعى خير الطويل حصل قدرا كبيرا من العلوم والمعارف أهلته لأن يختاره ابن طولون معلما ومؤدبا لابنه خمارويه ، وهو ما ينسحب على خادم آخر يدعى أيمن الأسود الذى كان ضمن البطانة التى انتدبها ابن طولون لتعليم وتأديب ولده العباس[2].

لا شك أن تولى الرقيق لمناصب ذات بعد ثقافى مثل منصب الكاتب ينم عن علو كعبهم فى المجال المعرفى، لما يتطلبه من مؤهلات ثقافية ومكتبية خاصة، وهو ما تكشف عنه رواية ابن الداية[3] التى تتحدث عن غلام رومى يدعى اسحاق كان يتردد كثيرا على حوانيت الوراقين "فيستعير ..الكتاب بعد الكتاب "، مما ساعد على تكوينه الثقافى بشكل أهله لتولى منصب الكاتب.

أما عن العطاء الثقافى، فإن المصادر تتحدث عن بعض هؤلاء الرقيق الذين برعوا فى بعض العلوم، ففى مجال العلوم الدينية يرد اسم خادم لابن طولون يدعى أحدهم لؤلؤ الرومى الخصى، الذى بلغ شأوا كبيرا فى مجال الرواية وعلم الحديث[4]، وخادم آخر يدعى كنيز الخادم ، وصف بأنه كان "**فقيهاً فهماً بقول الشافعى**"[5]، حتى إنه كان يناظر الفقيه المالكى الشهير محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فى مجلسه ويحتج عليه ويكشف عيوب المالكية[6].

---

(1)المصدر السابق، ص 340.

(2)ابن خلدون:العبر، ج4، ص390.

(3) المكافاة، ص ص 29-30.

(4)الطبرانى:المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، دار عمار، بيروت ، 1985، ج2، ص52، الخطيب البغدادى:المصدر السابق، ج13، ص18، ابن عساكر:المصدر السابق، ج50، ص 330.

(5)ابن عساكر:المصدر السابق، ج 50، ص 262، الطبرانى:المصدر السابق، ج2، ص52، ابن ماكولا: الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ ، ج7، ص127.

(6)ابن عساكر: المصدر السابق، ج50، ص ص 261، 332.

ولمعت شخصيات من الرقيق فى مجال رواية الأخبار، مثل راغب الخادم الذى كان يأنس إليه خمارويه فى مجلسه ليقص عليه ما رآه وعرفه من أخبار الخلفاء وسيرهم[1].

أما عن العلوم العقلية، فقد نقل ابن إياس[2] رواية ابن عبد الظاهر التى تتحدث عن خادم أسود من خدم ابن طولون كان على دراية بأمور الطب وصناعة العقاقير، حتى إنه اختاره متوليا للبيمارستان الذى أنشأه وأنفق عليه ستين ألف دينار.

وأشاد ابن الداية[3] بمهارة غلام ليوسف بن إبراهيم- أحد رجال حاشية ابن طولون – فى مجال علم النجوم، والرصد بالإسطرلاب .

صفوة القول: إن السلطة الطولونية لم تدخر وسعا فى استقطاب الرقيق عبر مصادر عدة لوعيها الكبير بقدراته وكفاءاته، وبأهمية حضوره إلى جانبها كعصبية يمكن الاعتماد عليها ، وهكذا تسرب الرقيق إلى مختلف مؤسسات الدولة انطلاقا من البلاط وما أنيط به داخله من مسؤليات كبيرة ، ثم بروزه فى المجال الادارى عبر احتلال مناصب قيادية أبرزها الوزارة والحجابة والكتابة ....الخ، فضلا عن ولاية الأعمال والدواوين والخزانات، وأخيرا الحضور المشهود بالمؤسسة العسكرية والمشاركة الفعالة فى المواجهات الحربية المختلفة التى كانت تدخل فيها السلطة ، بل تمكن بعض الرقيق من تولى قيادة الجيش خلال هذه المعارك، والقيام بأدوار مشهودة فى حماية السلطة من الأعداء والطامعين والثوار.

بيد أن دور هؤلاء الرقيق لم يقتصر على المجالين السياسى والعسكرى، وإنما امتد إلى المجال المعرفى، حيث آثر بعضهم الاستفادة من تشجيعات السادة وحضور مجالس العلم والأدب، مما آثر على تكوينهم المعرفى ورسم لهم مسارا خاصا اختلف عن مسار غيرهم من رقيق السلطة.

وفى نهاية المطاف، يجب الاعتراف بعجز البحث عن سد كل فراغات الموضوع أو الإلمام بكافة جزئياته، حيث ظلت بعض التساؤلات الملغزة قائمة تستقطب جهودا أخرى

(1)ابن العديم: المصدر السابق، ج8، ص 3553.
(2)المصدر السابق، ج1، ص164.
(3)انظر ابن سعيد:المصدر السابق، ص77.

للإجابة عليها، لعل من أهمها:ما طبيعة الحياة الخاصة لهؤلاء الرقيق؟ وما أهم المحن التى تعرض لها الرقيق على المستويين العام والخاص وكيف أثرت على مستوى معيشته؟ وما طبيعة علاقته بعضه ببعضه وعلاقته بأفراد المجتمع ؟ وما أشكال العادات والسلوكيات والقيم الاجتماعية والذهنية التى نقلها الرقيق المجلوب إلى المجتمع الطولونى وكيف أثرت فيه؟ وما الدور الاقتصادى الذى لعبه؟ وكيف تم توزيع الرقيق حسب الجذور الاثنية فى دواليب الدولة من أجل الحصول على أعلى مردود خدمى؟ وهل يمكن عقد مقارنة بين كفاءة الرقيق والأحرار من خلال الوظائف التى أسندت إلى كل منهم ؟

ورغم القناعة بصعوبة الأمر إلا أن الأمل معقود فى الكشف عن مادة جديدة قد تضع حدا لهذا الصمت المصدرى لتلك الفئة المهمشة.

obeikan.com

المصادر والمراجع

أولا المخطوطات:

1- ابن الداية:(أبو جعفر احمد بن يوسف الكاتب ت339هـ/ 951م):شرح كتاب الثمرة لبطلميوس، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 5924 ملى ملك.

2- العينى (بدر الدين بن أحمد بن موسى ت 855 هـ/ 1451م): الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 343 / ل.

3- مؤلف مجهول: التحقيق فى شراء الرقيق، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم15/ اجتماع.

4- مؤلف مجهول : نزهة الأبصار فى ذكر الأقاليم وملوك الأمصار، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 150 بلدان تيمور عربى، ميكروفيلم30106.

ثانيا: المصادر العربية:

1- الأبشيهى (شهاب الدين أحمد، ت 850 هـ/ 1446م): المستطرف فى كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 1986، جزآن.

2- الإتليدى (محمد بن دياب ت1100هـ/ 1689م): نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس، تحقيق أيمن عبد الجابر، دار الآفاق العربية، 1998.

3- ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم، ت 630 هـ/ 1232م): الكامل فى التاريخ، تحقيق عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج 6.

4- الإدريسى(أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن إدريس، ت 558 هـ/ 1162م) :كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، مجلدان.

5- ابن الأزرق(أبو عبد الله محمد بن على بن الأصبحى الغرناطى، ت 896 هـ/

1464م): **بدائع السلك فى طبائع الملك**، تحقيق سامى النشار، ط وزارة الاعلام، العراق، 1978.

6- **الاصطخرى**(أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى ت ق4هـ/ 10م): **المسالك والممالك**، ط ليدن، 1927.

7- **الأصفهانى**(أبو الفرج (ت356هـ/ 966م) :**الأغانى**، تحقيق سمير جابر، دار الفكر ، بيروت، (د.ت)، ج2.

8- **ابن أبى اصبيعة** (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم، ت 668هـ/ 1269م) **عيون الأنباء فى طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

9- **الأنبا يوساب**: **تاريخ البطاركة**، إعداد وتعليق ميخائيل إسكندر، سلسلة مخطوطات الأديرة، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ت).

10- **ابن إياس** (أبو البركات محمد بن أحمد، ت 91هـ/ 1523م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ج1، ق1.

11- **ابن بطلان**(أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون، ت 455هـ / 1063م): **رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد**، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954.

12- **البكري**(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ت487هـ/ 1094م): **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن واندرى فيرى، ط. وزارة الثقافة، تونس، 1992، ج1.

13- **البلوى** (أبو محمد عبدالله بن محمد المدينى، ت ق4هـ/ 10م): **سيرة أحمد بن طولون**، تحقيق محمد كرد على ، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

14- **التنوخى**(أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم، ت384هـ/ 994م): **المستجاد من فعلات الأجواد**، تحقيق محمد كرد على ، القاهرة 1946.

15- **التنوخى** : **نشوار المحاضرة**، تحقيق عبود الشالجى، مدينة حمدون، 1973، 8 أجزاء.

16- الثعالبى(أبو المنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت429هـ/ 1038م):ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1965.

17- الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر، ت255هـ / 868م): الرسائل، قدم لها وبوبها وشرحها على أبو ملجم، ط. دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987، ج1.

18- الجزرى(أبو السعادات المبارك بن محمد، ت606هـ/ 1209م): النهاية فى غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوى و محمود الطناحى، المكتبة العلمية ، بيروت، 1979، ج4.

19- ابن الجوزى(عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى، ت 597هـ/ 1200م): أخبار الحمقى والمغفلين، المكتب التجارى، بيروت، (د.ت).

20- ابن الجوزى:المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1992، ج6.

21- أبو حامد الغرناطى(عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع، ت565هـ/ 1169م):تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربى، دار الآفاق، المغرب، 1993.

22- ابن حجر (أحمد بن على بن محمد الشافعى، ت852هـ/ 1449م) لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند، بيروت ، ج1، ج5.

23- ابن حجر :رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1998.

24- الحلى(أبو البقاء هبة الله بن نمار، ت ق5هـ/ 11م): المناقب الزيدية فى أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات ، مركز زايد للتراث، (دت) .

25- ابن حمدون(محمد بن الحسن بن محمد بن على ت562هـ/ 1166م):التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت ، 1996، 10 أجزاء.

26- الحميري(محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت ق 9هـ/ 15م): كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2 بيروت، 1980.

27- ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن على النصيبى، ت 380 هـ/ 990 م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

28- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله، ت حوالى 300هـ/ 912م): المسالك والممالك، مكتبة المتني، بغداد، (د . ت).

29- الخطيب البغدادى (أحمد بن على، ت463هـ/ 1070م): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت)، ج2، ج3، ج13.

30- ابن خلدون(ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمى، ت 808هـ/ 1405م): المقدمة، دار القلم ، بيروت، ط5 1984.

31- ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ط دار القلم بيروت، ط5 1984، ج4.

32- ابن خلكان(شمس الدين أبو العباس أحمد، ت 681 هـ/ 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج2.

33- ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب ت339هـ/ 951م) :المكافأة، صححه وضبطه وشرحه احمد أمين وعلى الجارم، القاهرة، ط1 1941.

34- الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب، ت 727هـ/ 1326م): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ط. بطربونج، 1865.

35- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ/ ، 1374 م): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9 1413هـ، ج12-ج15.

36- الذهبى:العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2 الكويت، 1984 ، ج1، ج2.

37- الرقيق القيروانى(إبراهيم بن القاسم القيروانى، ت النصف الأول من ق 5 هـ/ 11م): قطب السرور فى أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندى، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1969.

38- الرقيق القيروانى: قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلى وعز الدين موسى، ط. دار الغرب الإسلامى، بيروت 1990.

39- ابن الزبير(القاضى الرشيد):الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله، الكويت، 1959.

40- الزهرى: أبو عبد الله محمد بن أبى بكر، ت أواسط ق6هـ/ 12م، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، ط. مكتبة الثقافة الدينية، (د . ت).

41- ساويرس بن المقفع(ت ق 4 هـ/ 10 م):تاريخ البطاركة، تلخيص وتنسيق وتعليق ميخائيل إسكندر، سلسلة التراث القبطى القديم، مكتبة المحبة، القاهرة ، (د.ت).

42- السبكى(تاج الدين عبد الوهاب، ت771هـ/ 1369م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحى، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، 1992، ج2.

43- ابن سعيد الأندلسى(على بن موسى بن محمد، 685 هـ 1286 م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1970.

44- ابن سعيد الأندلسى: المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق زكى محمد حسن وآخرين، القسم الخاص بمصر، ج1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003.

45- السيوطى(جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر، ت911هـ/ 1504م): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، ط. بيروت، 1964.

46- السيوطى: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ

47- الصفدى(صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764هـ / 1362م): الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج6، ج12.

48- الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله، ت335هـ/ 946م): أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ط مصر 1963.

49- الطبرانى(سليمان بن أحمد بن أيوب، ت360هـ/ 970م) :المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، دار عمار، بيروت، 1985، ج2.

50- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير، ت 310 هـ/ 922م):تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ج5.

51- الطوسى(نظام الملك الحسين، ت485هـ/ 1092م): سياسة نامة أو سير الملوك، تحقيق يوسف بكار، دار الثقافة، قطر، ط2 1407 هـ.

52- العباسى(حسن بن عبد الله بن عمر، ت 710 هـ/ 1310م): آثار الأول فى ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، ط. بيروت، 1989.

53- ابن عبد الحكم(عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين ت 257 هـ / 871 م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربى، 1961.

54- ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة566 هـ/ 1170م):بغية الطلب فى تاريخ حلب، دار الفكر، تحقيق سهيل ذكار، 1988، ج2، ج7، ج8.

55- ابن عذارى(أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشى ت712 هـ/ 1313 م): كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ج.س كولان وليفى بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

56- ابن عربى(محيى الدين، ت 638هـ/ 1240م): كتاب الأخلاق " ملحق بكتاب مختصر خليل لخليل بن اسحاق" مطبعة التقدم، مصر، 1325هـ.

57- ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن بن عبدالله الشافعى، ت571هـ/ 2275م):تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمرى، دار الفكر ، بيروت، 1995، ج5، ج8، ج11، ج14، ج17، ج41، ج47، ج49، ج50.

58- العصامى المكى (عبد الملك بن حسين، ت 1111هـ):سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ت)، ج3.

59- عياض (القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى، ت 544 هـ/ 1149م):ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ط.منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1.

60- ابن الفقيه(أبو أحمد بن محمد الهمدانى، ت أوائل ق 4هـ/ 10م): مختصر كتاب البلدان، نشرة دى غويه، ط ليدن، 1886.

61- قدامة بن جعفر(أبو الفرج الكاتب، ت 337هـ / 948م):نبذة من كتاب الخراج ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ط. مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت) .

62- القلقشندى(شهاب الدين أحمد بن على، ت 821هـ/ 1418م): صبح الأعشى فى صناعة الانشا، تحقيق يوسف على الطويل، دار الفكر، دمشق، 1987، ج1، ج5، ج14.

63- القلقشندى: مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ط2 1985 ، ج1.

64- ابن القيم الجوزية(شمس الدين أبوعبد الله محمد بن بكر الزرعى الدمشقى، ت 751هـ / 1350م):روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

65- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقى، ت 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج11 .

66- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، ت 350 هـ/ 961م):كتاب الولاة والقضاة، ، تحقيق حسين نصار دار صادر، بيروت، (د.ت) .

67- ابن ماكولا (على بن هبة الله بن على بن جعفر، ت475هـ/ 1082م): الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ ، ج7.

68- الماوردى (على بن محمد بن حبيب، ت 450 هـ/ 1058 م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط. مطبعة الحلبى، مصر، ط3 1973.

69- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكى، ت 874 هـ/ 1470م): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ت)، ج2، ج3، ج6.

70- المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى، ت حوالى 380 هـ/ 990 م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط ليدن 1967.

71- المقريزي(تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر، ت 845 هـ/ 1441 م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1، ج2.

72- ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، ت711هـ/ 1311م): لسان العرب ، دار صادر بيروت، (د.ت)، ج12.

73- ناصر خسرو (قام برحلته فى النصف الأول من ق 5هـ/ 10م): سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط3 1983.

74- ابن النديم:(أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد، ت 438هـ/ 1047م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978.

75- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت733 هـ/ 1332 م): نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج 28، تحقيق محمد محمد أمين و محمد حلمى محمد، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، 1992.

76- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الرومى، ت626هـ/ 1229م): معجم الأدباء" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ، ج2.

77- اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح، ت 284 هـ/ 897 م، تاريخه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج2.

ثالثا: المراجع العربية:

1- أحمد عبد اللطيف حنفى: دراسة نقدية لمصادر تاريخ الدولتين الطولونية والإخشيدية، بحث مرجعى غير منشور مقدم للجنة العلمية الدائمة للترقية لدرجة أستاذ مساعد فى التاريخ الإسلامى، 2004م.

2- أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1969

3- توفيق بن عامر: الحضارة الاسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، ج1.

4- حسن أحمد محمود :حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت).

5- سيدة إسماعيل الكاشف: أحمد بن طولون، سلسلة أعلام العرب رقم (48)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1965.

6- ليلى عبد الجواد : علاقة دولة الروم بمصر عصرى الطولونيين والإخشيديين، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى، 1988.

رابعا: المراجع والدوريات الأجنبية:

1- ***Brunschvig (R):*** *"Abd", in Encyclopedia of Islam ,Leiden ,v.1,1960, p.33.*

2- ***Fisher(AllanG. and Humphrey J.):*** *Slavery and Muslim Society in Africa: The institution in Saharan and Sudanic Africa, and the trans-Saharan trade. London, 1970.*

3- ***Lewis (B):*** *Race and color in Islam, London, 1971.*

4- ***Pipes(D):*** *Slave Soldiers and Islam: The Genesis of a military system,New Haven,1981.*

5- ***Savage (E):*** *"Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992, pp351-368.,p.149.*

6- ***Zaky M.Hassan:*** *Les Tulunides.Etude de l'Egypte Musulmane àla fin du 1xe siècle(868-905), Paris,1933.*

* * *

Obeikan.com